البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد: إلى الإسلام من جديد

المجلد الحادي والعشرون — العدد الثامن

مايو ١٩٧٧م — جمادى الأولى ١٣٩٧هـ

Regd. No. LW/NP59

ALBAAS -EL- ISLAMI

Nadwat -ul- Ulama, LUCKNOW (India)

الرائد

عربية إسلامية نصف شهرية

يصدرها النادي العربي بدار العلوم ندوة العلماء

⊛ رئيس المجلس : محمد الرابع الحسني الندوي

⊛ نائب الرئيس : سعيد الأعظمي الندوي

⊛ رئيس التحرير: واضح رشيد الندوي

الاشتراكات السنوية

★ بالبريد العادي

في الهند : ٢٢ روبية

في الخارج : خمسة دولارات

★ بالبريد الجوي

في الخارج : عشرة دولارات

العنوان :

إدارة الرائد ، النصف الشهرية

دار العلوم ندوة العلماء ، ص . ب ٩٣ لكهنو (الهند)

AL-RAID- Nadwa - P. o. Box 93, LUCKNOW- (India)

البعث الإسلامي

رئيس التحرير : محمد الحسني
مدير التحرير : سعيد الأعظمي

المجلد الحادي والعشرون — العدد الثامن

جمادى الأولى ١٣٩٧هـ
مايو ١٩٧٧ م

صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية

من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف و إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة ، و بيئات مختلفة و لها خلفيات وعوامل وتاريخ ، وهى خاضعة دائماً للتطور والتغيير فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات و على الأعراض والكرامات بل أكثر منها و أشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعة وحماه و شعائره ، و إخضاعها للتصورات الحديثه أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان ، وإضعاف لها لا تقوية ،و تعريض للخطر لا حصانة .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

(« الدعوة إلى الله » ص : ١٣ ، ١٤)

في هذا العدد

ضرب الاسلام باسم الاسلام !	سعيد الأعظمي الندوي	٣
التوجيه الاسلامي		
المعجزات من نعم الله على خلقه	فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري	١٠
العلم في الكتب المقدسة أمانة الأجيال	بقلم فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع	١٩
الاسلام دين السلام	فضيلة الشيخ سعد المرصفي	٢٥
الدعوة الاسلامية		
الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية، وصيانة الدين من التحريف	فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوي	٢٩
جماعة الدعوة و التبليغ	الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة	٤٦
الفقه الاسلامي		
الحدود الشرعية و أثرها في تحقيق الأمن و الاستقرار للمجتمع	سعيد الأعظمي الندوي	٥٨
اقتصادنا في ضوء الاسلام		
أمور أساسية عن الاقتصاد الاسلامي و إطاره العام	الأستاذ محمد طاسين باكستان	٧٦
العمل و العمال بين الاسلام والنظم المعاصرة	الأستاذ ابن سلمان	٨٤
دراسات و أبحاث		
من أسرار النبوة	الأستاذ شهاب الدين الندوي	٨٨
فراغ تربوي يجب أن يملأ	محمد الحسني	٩٠
جامعة دار السلام في جنوب الهند	بقلم : كاكا محمد عمر الأمين العام	٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ضرب الاسلام باسم الاسلام !

أصبحت الانتخابات و الاستفتاءات العامة من عادة الدول الديموقراطية كلها ، و هي عادة لا تسترعي انتباه الشعوب في الدول الأخرى بوجه عام ، و لكن الانتخابات التي جرت في باكستان في نهاية الأسبوع الأول من شهر مارس المنصرم عام ١٩٧٧ م لم تكن كأخواتها في سائر الدول ، بل إنها كانت تشغل جزءاً كبيراً من جزيرة الأمل والمستقبل المشرق وفي محيط الصبح الباسم الذي يتطلع إليه المسلمون والجهات المعنية بالدعوة الاسلامية والبعث الاسلامي ، فقد تبنت شعوبنا الاسلامية على اختلاف بلدانها و أقطارها موضوع هذه الانتخابات و حبست أنفاسها تترقب نتائجها السارة التي كانت معقد آمال ضخمة في مجال الدعوة ، و كانت تعتبر علامة استفهام كبيرة أمام الأسئلة الآتية :

١ـ هل تحكم الفضيلة أم تحكم الرذيلة ؟

٢ـ أيغلب الحق أم يغلب الباطل ؟

٣ـ هل يظهر أنصار الرحمن أم يظهر أنصار الشيطان ؟

و لكن النتائج التي أسفرت عنها هذه الانتخابات لم تكن تشير إلى ذلك الموقف الحاسم الذي وقفه الشعب الباكستاني من مستقبل بلاده ، و كان الوحدة التساعية التي تدفقت كالسيل الجارف و تحولت إلى جبهة موحدة قوية ضد الحكم الحاضر تداوبت بجاذة و تبخرت في الجو ، و هنالك ثار الناخبون على النتائج و اتهموا الانتخابات بالتزوير الذي لا يوجد له مثيل في تاريخها ،

و رفضوا أن يقبلوها أو يخضعوا لها فى شئ ، و طالبوا باعادة الانتخابات فى ظل العدالة و النزاهة التامتين ، و لكن دون جدوى .

أعلن الحكام أن الانتخابات عادلة و أنه لا داعى لاعادتها ما دام الشعب هو الذى تولى إدلاء الأصوات ، و إبداء الرأى العام ، و ظل الاستياء العام يبسط جناحه على الجماهير المسلمة و الثورة يتسع نطاقها و تنتشر ظلالها على الشعب حتى تفجرت ، وما قاومتها الحكومة إلا بقوة النار والحديد ، من غير أن تنظر فى العواقب ، ومن دون أن ترثى للشعب المسكين الذى لا يريد إلا تغييرها بأحسن منها ، و بما هو أقرب إلى دينه و عقيدته .

و ما نسى التاريخ و سوف لا ينسى أن باكستان وجدت على أساس الاسلام ، و أنها سميت بالجمهورية الاسلامية التى ستنال فيها القوانين الاسلامية طريقها إلى التنفيذ ، و تحكم فيها الكلمة بجميع ما تحمل من معانى ، و ستكون فيها السلطة لله ، و لم تكن لتتولد باكستان منذ ثلاثين عاماً لولا أن هناك صفحات بيضاء للتضحيات و سلسلة طويلة للجهود و المغامرات التى تولاها المسلمون فى شبه القارة الهندية التى خضبت أرضها بالدماء الزكية التى أريقت فى سبيل الدولة الاسلامية و باسم الاسلام ، ومن أجل ذلك وحده أيدها المسلمون فى جميع أنحاء العالم الذين كانوا يتمنون أن يقروا عيونهم بالاسلام الذى سيتجسد فى هذه الأرض ، و ستقوم فيها دولته ، و لكن الذى حدث يعرفه الناس فى كل مكان ، وهو أن أصابع المؤامرات تصرفت فى هذه القطعة من الأرض وحاولت أن تحولها إلى قاعدة للعسكرات الكبرى ، وبالتالى إلى مركز التلاعب بالاسلام و قيمه ، من حيث يعلم الناس و من حيث لا يعلمون .

و الذى يستعرض تاريخ باكستان منذ وجودها يصدق أن الاسلام هو الذى ظل فيها مدحوراً منبوذاً من أول يومها ، و أنه هو الذى لم ينل أى

نصيب من العناية و التحكيم فى الحياة ، على أنها كانت و لا تزال معقد آمال كبار لدى الأمة الاسلامية فى الوطن الاسلامى وخارجه ، و كم كانت فرحتها شديده يوم أعلن عن باكستان ، لا لأجل أنها انفصلت عن الهند و استقلت بادارتها و حكمها بل لأجل أنها كانت إعلاناً صارخاً عن دولة إسلامية تقوم فى جزء من الأرض ، و تحكم فيها شريعة الله ، وتحكم فيها الفضائل والأخلاق ، و تكون دولة نموذجية مثالية تقلدها دول المسلمين فى العالم العربى و الاسلامى و تصوغ حكمها على غرارها .

و كاد يتحقق هذا الحلم من غير أى تأجيل ، و لكن الاستعمار الغربى الذى كان يحكم هذه القطعة من الأرض و يعرف طبائع أهلها و تصلبهم فى دينهم ، و حرصهم على تحكيم شريعتهم ، و كان عارفاً باستراتيجية هذه البلاد و حسن موقعها لاقامة القواعد الحربية و التسرب عن طريقها إلى الجزيرة العربية و الدول الاسلامية ، هو الذى احتال لاستغلالها و أقام فيها عملاءه و وكلاءه الذين تعلموا منه تكتيك ضرب الاسلام باسم الاسلام ، و اقتلاع جذور الفضيلة باسم الفضيلة نفسها ، و تاريخ ٣٠/ عاماً شاهد عدل على هذه الخطة التى وضعها الاستعمار الحاقد على الاسلام و المسلمين ، والعالم كله يعرف ما جرى و يجرى إلى اليوم فى باكستان على يد حكامها و زعمائها ، وكيف قد ذاق و لا يزال يذوق الشعب المسلم فيها إهانات وعقابات ، وشقاء تلو شقاء ، وخيبة إثر خيبة .

و النتائج التى ظهرت عقب الانتخابات تؤكد ما للقوى الحاقدة فيها من دور ، وما لها من حول وطول فى تقرير مصير الشعب المسلم وصرفه نحو الاتجاه المضاد ، و كيف تعمقت جذورها فى جميع الأجهزة الحكومية ، كما أنها تشير

إلى مدى النجاح الذى حققته فى قضية الفصل بين الدين و الدولة و إقصاء الجماهير عن منصة الحكم والسياسة فى دولة أقيمت باسم الاسلام وحده ، ولولا الوعى السياسى الذى عم اليوم فى العالم الاسلامى كله و نال منه هذا الشعب أوفر نصيب لم يكن ليتفطن عمليــة التزوير التى شملت الانتخابات على أوسع نطاق ، و لكان قد قبل ما أبداه الحكام من نتائج ، ولكن الأمر لم يك على ما زعمه « أولياء الحكم » و ظهر منه ما لم يكن منهم على بال كما لا يخفى على العالم ما يجرى اليوم فى باكستان نتيجة لهذا الوعى و اليقظة .

هذا وقد تلت انتخابات باكستان العامة انتخابات عامة فى الهند ، جرت فى جو من الأمن والهدوء و النزاهة ومن غير أن تمسها يد التزوير والتخويف حتى إن الحزب الحاكم الذى حكم البلاد ٣٠ عاماً متتالية و كان مؤيداً مدعماً من الشعب الهندى خلال هذه المدة سقط فيها بحيث لم تبق له قائمــة و عاد إلى مقاعد « المعارضة » فى البرلمان ، رغم أن الذين تولوا اجراء الانتخابات وأداروا دفتها لم يكونوا يتمتعون بالاسلام اسماً ولا رسماً ، عكس الذى حدث فى باكستان ، فان الحكام و الزعماء كلهــم يدعون الاسلام ، و كلهم ينطقون بشهادة الاسلام ، إلا أنهم لم يتلكأوا فى انتهاز أى فرصة من فرص التزوير والتخويف ، وما زالو جاثمين على صدور قومهم مهما صاح و ولول ، وصرخ و رفض ، و ثار ضدهم .

و الواقع الذى لا ينبغى أن نغمض عنه العيون هو أنه ليس شئ أكبر خطراً ، وأكثر ضرراً لدى الاستعمار - غربياً كان أو شرقياً - من الاسلام فى شكله الناصع و جوهره الخالص ، لأنه إذا حكم الشعوب و كانت له كلمة نافذة فى الدول الاسلامية لتبدل الوضع غير الوضع ، وفقد العدو الحاقد من

مكانته القيادية و زعامتــه على البلاد الاسلامية ما لا تبقى له بذلك ميزة بين شعوب العالم وأمم الأرض ، بل وقد ينهار بنيان كبريائه و عظمته الذى شيده على أنقاض التاريخ المشرق ، و يتخلى الناس فى الشرق خاصة عن الاعتراف بقوته و تقدمه ، و الخضوع لمنطقه و سحره ، و يتكسر طلاسم الغرب وتزول هيبته من القلوب و النفوس .

تفطن الاستعمار لهذه الحقيقة وأدرك كنهها بعد دراسة وخبرة طويلتين ، فحشد كل مكايده و حيله فى الحيلولة دون الاسلام و منع المسلمين عن تنفيذه فى المجتمع و تطبيق أحكامه على الحياة ، وأقام لتحقيق هذا الغرض فوجاً من عملائه بين المسلمين ومجتمعهم ، ممن لا يراعون إلا ولا ذمة فى ضرب الاسلام و ضعضعة عقائده فى القلوب ، و إخراج قدسيته من النفوس ، وإهمال شأنه فى المعاملات والعقود ، وحصره فى المساجد والمحاريب ، و سجنه بين الأوراد و الأدعيــة ، و جعله قضية خاصة بالانسان لا شأن لها مع خارج الدنيا ، و شئون الحكم و السياسة .

وقد بلغ الحقد على الاسلام بهؤلاء الأعداء إلى حد الجنون ، فلم يلبثوا أن قرروا دس السموم فى العلوم الاسلامية وكتب التاريخ الاسلامى باسم دراسة الاسلام و تحقيق التراث الاسلامى ، و دربوا جماعة من أنفسهم على تعلم اللغة العربية ودراسة المصادر الاسلامية لكى يتم لهم الدس و التحريف ، بادخال أمور تعارض روح الاسلام و تعاليمه ، و يمكن تضليل الناس بها .

ولما رأوا أن هذه الحيلة لم تنجح كثيراً وتصدى علماء الاسلام لدحض أباطيلهم و الكشف عن تضليلاتهم ، و الرد على تأويلاتهم الفاسدة توصلوا بعد تفكير و دراسة إلى أن يشتروا من المسلمين أنفسهم أناساً تلقوا دراساتهم فى

مخاض الحضارة الغربية ومدارس الغرب و أعجبوا بها أيما إعجاب ، ثم يجعلوهم بفضل حيلهم و مكايدهم فى طليعة خبراء السياسة و الحكم ومقدمة من يتأهلون لتسلم زمام الدولة ، ،فعلا نجحت تلك الحيل ، واحتل هؤلاء الرجال فى مناصب الحكم و استولوا على زمام الدولة ، على أنهم فى الحقيقــة عملاء الغرب ، و وكلاء الاستعمار .

وهكذا أقام الاستعمار الغربى حكاماً فى كثير من الدول الشرقية يعملون لصالح الغرب و دعم مصالحه بكل ما يملكون من وسائل و إمكانيات ، وعلى حساب الفضائل الخلقية والعقائد الدينية الأساسية ، والتربية الصالحة ، و لذلك فاننا نرى فى هاتيك الدول شعوبنا الاسلامية لا تملك من الرصيد الخلقى والدينى ما تنال به اعتباراً فى ميزان القيم ، أو تحارب رذيلة من الرذائل المتفشيــة فى المجتمع الذى تعيش فيه بشئ من الجراءة الخلقية و الغيرة الايمانية .

هذا كلـه تحت مخططات سرية دبرها الأعداء فى الظلام ، ومارسوها مع المسلمين ثم نفذوها فى عقر ديارهم ومراكز حضارتهم و علومهم ، ولم يتركوا أى أسلوب من أساليب الترغيب و التقريب إلا و قد اتخذوه و طبقوه ، و حولوا عدداً كبيراً من الشباب المثقفين ممن يدرسون فى الغرب أو يقيمون فيه لغرض ثقافى أو تجارى آخر ، حولوهم إلى دعاة للفكر الغربى و أنصار للحضارة الغربية ـ الا من عصمه الله ـ و كلما خلا الجو استغلوهم و نصبوهم مكان الزعماء و القادة فى بلدانهم حيث يقومون بخدمة المصالح الأجنبية و هدم المقاييس الخلقية و الدينية بشتى الأساليب والوسائل التى أتقنوها من سادتهم و أساتذتهم .

أنظر
« البقية على ص ١٠٠ »

التوجيه الإسلامي

المعجزات من نعم الله على خلقه

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

(و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و أغرقنا آل فرعون و أنتم تنظرون) إن هاتين النعمتين من خوارق العادات ، وفيها تنبيه لعظم الهول الذى فصله فى غير هذه السورة و أجمله هنا ، و هو من أعظم النعم التى لم تحصل لأحد قبلهم ولا بعدهم ، ذلك أن الله لما أمر موسى أن يخرج ببنى إسرائيل ليلا ليغادر بهم محل الظلم و الهوان فسرى بهم تحت رعاية الله . ومن الغد أوعد فرعون و أزبد و حشر قومه من كل بلد حتى تبعهم بانتفاخة غروره قائلا ما قصه الله عنه فى سورة الشعراء (فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون و إنهم لنا لغائظون و إنا لجميع حاذرون) .

و قد قال مثل هذا المنطق أو يزيد عليه فراعنة القرن العشرين الميلادى فى (حزيران) تشابهت قلوبهم فحاقت بهم الذلة لاصرارهم على عدم تحكيم الشريعة و طلب غير اعلاء كلمة الله فى القتال إلى أن قال (فأخرجناهم من جنات و عيون و كنوز و مقام كريم كذلك و أورثناها بنى إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم و أزلفنا ثم الآخرين و أنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن فى ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين) .

يصور الله لنا ما أجمله هنا من قصة إغراق فرعون وإهلاكه مع قومه عن آخرهم بمعجزة من أعظم المعجزات الخارقة للعادات و إنهم بعد ما خرجوا للانتقام من موسى و بنى إسرائيل و شاهدوهم و قد لحقوا قالوا لموسى (إنا لمدركون) فطمأنهم موسى لثقته بوعد ربه قائلا (كلا إن معى ربى سيهدين) .

و حينئذ أمره الله أن يضرب البحر بعصاه فضربه كما أمره الله فانفلق حتى صار جانباه كالطود العظيم فلما استكمل بنو إسرائيل العبور منه بطريق يابس أنجاهم الله فيه من إدراك عدوهم لهم دخل فيه آل فرعون حتى استكملوا فى وسطه فانطبق عليهم و أغرقهم الله فيه بأجمعهم وموسى وقومه ينظرون ، فالاغراق بهذه المعجزة نعمة و نظرهم إلى هلاك عدوهم الذى يحاول إهلاكهم و مشاهدتهم من يذلهم قد أذله الله ذلا أمامهم و أراه من حسرة للهلاك قبل الهلاك الفظيع نعمة أخرى ، و لذا قال تعالى (و أنتم تنظرون) تشاهدون عدوكم قد أحاط الله به و نفذ فيه أعظم مما يريد تنفيذه بكم أوقعه فى شراك هلكة لا يمكنه التخلص منها أبداً فذاق الخزى الذى لا يريد أن ترونه به لو قدر على الخلاص منه بكل وسيلة .

فرؤية أجدادكم للخزى العظيم الذى حاق بعدوهم نعمة كبرى يعتز بها كل إسرائيلى إلى يوم القيامة اعتزازاً يجعله يشكر هذه النعمة بوفاء عهد الله من الايمان بمحمد ﷺ أن إهلاك الله لعدوكم و أنتم تنظرون فيه نعمة أخرى يحصل بها الاطمئنان الكامل على زواله و السرور العظيم الذى ليس له مثيل و الذى يجب شكره إلى يوم الدين ، ولكنها النفس اليهودية التى سيقص الله علينا من دفائن خبثها ما يوجب الابتعاد عن جميع هزاتها و خططها الملعونة و أن لا نلتقى معها فى أى ميدان من ميادين الحياة .

وقد زعم بعض المنكرين للمعجزات وبعض المتأثرين بهم إلى أنهم عبروا البحر فى وقت الجزر و انهم تمكنوا من العبور أثناءه و لم يتمكن عدوهم كما تمكنوا بل أدركه المد فأغرقه ، وهذا القول باطل من وجوه عقلية و نقلية .

أما العقليـة (فأولا) أنه لا يكون الجزر من جميع الجوانب بل من جانب واحد .

و (ثانياً) لو حصل الجزر فى بعض البحار من الجانبين فان تأثيره فى الضحضاح الذى يكون على السواحل بحيث لا يتجاوز فى بعضها ميلا واحداً و أما وسط البحر فهو عميق بطبيعة الحال .

(ثالثاً) لو فرضنا أن بقعة ما فى وسط البحر ضحضاح يؤثر فيها الجزر فان مدة الجزر ليست كافيـة لعبور مئات الألوف مشياً على الأقدام أو على الدواب فضلا عن عبور غيرهم وراءهم بعد استكمالهم خارجين ، هـذا شيئ يخالف للواقع المعروف .

(رابعـا) انه لو كان عبورهم و نجاتهم بسبب الجزر وكان هلاك عدوهم بسبب المد لما كان فيها معجزة تقطع الدعاوى بل يجوز لبنى إسرائيل أمة البهت و الجحود أن يقولوا لقد مهر آباؤنا بفضل معرفتهم و حنكتهم فى انتهاز وقت الجزر والاسراع قبل طغيان المد ونحو ذلك مما يقوله المتبجحون المعجبون بمهارتهم والزاعمون التفوق بعلمهم فان اليهود أطيش من غيرهم فى ذلك ومع هذا لم يزعموا ما قاله أولئك لأنها معجزة خارقة شوهدت فى وقتها بالعيان .

(خامسـاً) نطالبهم أن يدلونا على موقع من البحر عرضه دقيق يمكن عبوره فى وقت الجزر و من المحال لأن البحر من الشرق إلى الغرب عرضه بعيد خصوصاً بحر القلزم فان عرضه يبلغ أياماً بوسائط النقل الحديثة (وأما

الأدلة النقلية فمن وحى الله (و من أصدق من الله قيلا) فانه قال ما ذكرناه فى سورة الشعراء (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) وهذا نص صريح فى كونها معجزة لموسى و نعمة على بنى إسرائيل فهى معجزة من جملة معجزات الأنبياء التى يظهرها الله على أيديهم إرشاداً للناس إلى أن السنن الكونية لا تحكم على واضعها ومدبرها ولا تعسر عليه جرياً على ما وضعها له بل هو سبحانه الحاكم المتصرف فيها كما يريد وأنها خاضعة لسلطانه مدبرة بأمره تجرى على ما يريد لا كما هى تريد و أن ما يعمله من المعجزة الخارقة للعادة هى سنة أخرى فى ملكه من الأكوان العلوية و السفلية يخلقها متى يشاء على يد من يختاره من عباده إظهاراً لحجتـه على خلقه و انتصاراً لمن يشاء من عباده و أوليائه على أعدائه الذين اقتضت حكمته تنكيلهم .

والعجب من عالم مفسر فى هذا العصر ينجرف لقولهم و هو مؤمن بالمعجزات و يؤول قوله تعالى (فرقنا بكم) إنه المقصود حال الجزر قائلا أنه لم يقل (فرقنا لكم) ثم يزعم أن قوله تعالى (فكان كل فرق كالطود) أنه للمبالغة ، يا سبحان الله وهل يكون فى الجزر شيئ مما وصفه الله بأنه كالطود العظيم ؟ و يذهب فى تأويله إلى أنهم لاستعجالهم جعلوا الماء فرقين عظيمين ممتـدين كالطود .. فهل الطود يكون ممتداً كالحبل أو يكون شامخاً مرتفعاً كالجبل ؟ ثم ما الذى ألجأه إلى هذا التصرف السيئ بنص القرآن ما دام يعترف بالمعجزات إذ يقول (و مثل هـذا التأويل ليس بضائر إذا كان أربابه يثبتون صدور خوارق العادات ؟)

(أقول) أولا ـ ما الحامل على المثبت للمعجزات أن يجنى على النص القاطع بالتأويل سوى الارضاء و التوافق مع من لا يؤمن بها من الملاحدة

و أفراخ الافرنج على حساب القرآن ؟ و قد لا يشعر بذلك و (ثانياً) إن التأويل بعد البيان تحريف و تزييف لا يستساغ على الأقل إذ المستساغ تأويل المجمل والمتشابه ، خصوصاً و هذه الحادثة ثابتة بشواهد الأحوال التى حصل الاجماع على حصولها بسببها و قد قال ابن القيم فى الكافية الشافية :

فسياقة الألفاظ مثل شواهد الأ ... حوال أنهما لنا صنوان
إحداهما بالعين مشهود بها ... لكن ذاك بمسمع الانسان
فاذا أتى التأويل بعد سياقة ... تبدى المراد أتى على استهجان
و إذا أتى الكتمان بعد شواهد الأ ... حوال كان كأقبح الكتمان

و إذا كان قوله تعالى (فكان كل فرق كالطود العظيم) و هو الدليل النقلى الثانى الذى لا يقبل تأويل المتهوكين وأنهم مشوا فى فلق البحر ، و حافتاه عن أيمانهم و شمائلهم كالطود العظيم من الجبال جبال ماء قد حبسها الله بقدرته ، فالدليل الثالث قوله تعالى (فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دركا و لا تخشى) فهذا نص واضح على المعجزة الخارقة التى جعلتهم يمشون فى مضرب عصا موسى بطريق يابس يمشون فيه مطمئنين لا يخافون أن يدركهم عدوهم و لا يخشون مما يمشون عليه حيث إنه طريق يابس بقدرة من أمره بين الكاف والنون ، فالنصوص القرآنية تأبى جميع التأويلات لوضوحها والذى يمشى فى الجزر يخالجه الخوف من اختلاف الأرض فى الانخفاض الذى يكثر فيه الماء و الارتفاع الذى يقل فيه .

و فى هذه الآية من تركيز التوحيد فى قلب الانسان شئ عظيم يجعل المسلم يستمطر مدد الله فى كل أزمة بعد ما يحقق الصدق و الاخلاص له و بالله التوفيق .

إن العليم الحكيم الذى أجرى خوارق العادات ليس ليدل على وجوده و عظيم قدرته فقط و لا لتصديق أنبيائه فقط و إنما هو فوق ذلك لتقوية معنوية عبادة تقوية روحية جبارة يعظم فيها توكلهم و إعتمادهم عليه و ثقتهم بنصره مستيقنين أنه سبحانه يجعل الحزن سهلا و المستحيل واقعاً وأنه لن يعجزه من شئ فى السماوات و لا فى الأرض و أنه يخلق أعظم شئ من لا شئ و أنه يخلق بلا سبب و أن الأكوان العلوية و السفلية لا يتعسر عليه منها شئ أو يتحكم فى قدرته منها شئ بل هو الذى يجريها على خلاف سيرها و سننها العادية و يتحكم فيها على ما يريده من نصرة أوليائه المخلصين له الصادقين معه فيفلق البحر شطرين يشق بينهما طريقاً يبساً كأن الماء لم يمر عليه أبداً كما فعل ذلك لموسى و قومه ويشق القمر نصفين إرغاماً لقريش وتصديقاً لمحمد ﷺ و يوقف سير الشمس ليوشع بن نون خليفة موسى و يجمد نهر دجلة لجيش سعد بن أبى وقاص فيعبرونه لم تبتل أقدامهم و يذلل البحر لخيل أبى العلاء بن الحضرمى و يسيل الماء لهم فى رمال الدهناء لما عطشوا و يهزم الكفار يوم بدر بقبضة تراب يلقيها عليهم الرسول ﷺ قائلا (شاهت الوجوه) و يقول سبحانه له (و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى) .

و هو الذى يمد عباده المؤمنين بالملائكة و بالريح و الرعب و غير ذلك مما يدحض أعداءهم فالايمان بالمعجزات ينفع المؤمنين والكفر بها يدحض الكافرين إذ يأتيهم العذاب من حيث لم يحتسبوا ، ولقوة إيمان عباده سبحانه بمدده زلزلوا الحصون بالتكبير الصادق ، وأى معجزة أعظم من تقطيع أفئدة الكافرين وزلزلة حصونهم بالتكبير الصحيح ، ذلك التكبير الصادر من أدمغة لاتعرف اللهو واللغو بل بقوة إيمانهم حاربوا أعظم دول العالم فى وقتهم - فارس والروم - دون أن

يستعينوا بدولة على حساب دولة أو يتملقوا دولة و يهادنوها ليتفرغوا للدولة الأخرى بل حاربوهم فى وقت واحد ، حاصرين استعانتهم بالله الذى ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها و استمرواهم وأولادهم فى الزحف المقدس حتى فتح الله عليهم أكثر المعمورة و طبقت لغتهم ما بين الخافقين .

أما الملاحدة الذين لا يؤمنون بالمعجزات على اختلاف طرائقهم فحياتهم على خطر كلما جدد الله الزحف المقدس على أيدى من شاء من عباده والله غالب على أمره .

ثم إن هذه المعجزة من فلق البحر الذى نجى الله فيها موسى و قومه و أهلك آل فرعون نعم عظيمة فى الدنيا والدين ، أما نعم الدنيا فى حق موسى و قومه فانهم بعد ما وقعوا فى أحرج المضائق حيث كان عدوهم وراءهم يشاهدونه بالعيان و البحر أمامهم قد سد عليهم كل طريق و مخرج و أصبح هلاكهم عند عدوهم و عندهم مستيقناً فمن لم يهلكه عدوه أهلكه البحر الذى يفر إليه شر هلكة فلا خوف أعظم من خوفهم بل ولا يأس أعظم من يأسهم فلطف الله بهم فى أحرج الشدائد و نجاهم مما يخافون ، و أبدل خوفهم أمناً و حزنهم و كربتهم فرحاً و سروراً .

و من جهة ثانية طمأنهم و أكمل أمنهم باهلاك عدوهم وهم ينظرونه مشاهدة العين إذ لو أخبروا بهلاكه ما صدقوا و لعب عليهم الشيطان بتخويفه فأكمل الله عليهم نعمته باشهادهم لهلاكه حتى لا يبقى فيهم شئ من الخوف أبداً فيستيقنوا الخلاص من ورطته إذاً باغراق الله لآل فرعون و هؤلاء ينظرون ، إلى أن انحسمت مادة الخوف بتاتاً و هذه أعظم نعمة .

ثم من جهة ثالثة أن الله أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم و كنوزهم

و نعمتهم التى كانوا فيها فاكهين كما قال تعالى « و نجعلهم الوارثين » و هذا من تمام النعمة وظهور الكرامة لو أنهم يقدرون الله حق قدره ولكن الله سيقص علينا العجائب الغرائب من خبث سريرتهم و سوء طباعهم وقبح جهلهم .

و أما نعم الدين فانهم لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة المنقطعة النظير زالت عنهم الشكوك و تذكروا جواب موسى لهم إذ قالوا « أوذينا من قبل إن تأتينا و من بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » و زالت عنهم كل شبهة و استيقنوا بوجود الخلاق العظيم الذى هذه آثار بعض قدرته و عرفوا صدق موسى بعلم ضرورى لا يحتاج إلى نظر و استنباط .

و منها أنهم لما عاينوا ذلك صار داعياً لهم إلى الثبات على تصديق موسى و الانقياد له كما صار داعياً لمن بقى من قوم فرعون إلى تكذيبه و الكفر به و الايمان بموسى .

و منها أنهم عرفوا أن الأمور بيد الله حيث لا يوجد عز و لا تسلط أعظم مما عند فرعون و لا ذلة و لا هوان أعظم مما أصاب بنى إسرائيل فقلب الله حالة فرعون إلى أشنع ذلة و هلاك و حالة بنى إسرائيل إلى عز و سعادة و هذا يوجب انقطاع قلب المؤمن عن بهرج الحياة الدنيا و تعلقه بالله .

و أما النعم الحاصلة لأمة محمد ﷺ من هذه الحادثة فكثيرة ، منها أنها كالحجة لمحمد ﷺ على أهل الكتاب لاخباره أياهم بها دون أن يكون له بها أدنى علم لولا وحى الله إليه لأنه أمى لا يعرف الكتب و لأنه لم يخالط أهل الكتاب أبداً فاخباره إياهم بها دليل على صدقه ، و منها أننا إذا رأينا قدرة

الله العظيمة فى إهلاك هذا الطاغوت ذى القوة و البطش هلاكاً تصحبه الذلة و الحسرة أخلصنا الضراعـة إلى الله فيما يمسنا من نوائب الدهر و ما تبرزه الماسونية اليهودية من أنواع الطواغيت فحسن علاقتنا بالله ونضرع إليه ضراعة صادقة ينجينا بها من شر كل ملحد و طاغوت فى مشارق الأرض ومغاربها .

و منها أننا نحذر من مخالفة أوامر الله و الاعتداء على حدوده حتى لا نكون محرومين من رحمته و نصره بل نعاكس بنى إسرائيل فى معاملتهم لموسى و لا نؤذى محمداً ﷺ كما آذوا نبيهم بل نحقق الايمان به باتباع طريقته وحصر التلقى عنه فى ميادين الثقافة و التربية دون ما سواه و نقتدى به اقتداء صحيحاً كاملا خصوصاً فى حمل رسالة الله و توزيع هدايته لنحيا حياة طيبة لانضل فيها ولا نشقى ولا تحيق بنا اللعنة التى حلت ببنى إسرائيل لما تمردوا على أنبيائهم فضربت عليهم ذلة لا ينجون منها إلا بحبل من الله إن رجعوا إلى طاعته أو حبل من الناس بحيث يمدهم غيرهم حسب مصالحه معهم كما هو الآن حاصل فيهم و فيمن سلك مسالكهم بالشرود عن دين الله لا يسلم من شرهم إلا بحبل آخر من ناس آخرين .

ثم أنه يعلم من سرد الآيات المقبلة فضيلة أصحاب محمد ﷺ على أصحاب موسى لصدق انقياد أصحاب محمد ﷺ وطاعتهم له بدون معجزات ،و كثرة تمرد أصحاب موسى مع تلك المعجزات والنعم العظيمة والله يؤتى فضله من يشاء.

العلم فى الكتب المقدسة أمانة الأجيال

بقلم : فضيلة الشيخ عبد العزيز العلى المطوع

رحلتـه صوب الشرق :

إن رحلة (ذو القرنين) الأولى كانت فى الجانب الغربى من كرة الأرض بالنسبة لمصر وبقى على هذا العالم الرحالة الداعية أن يرحل إلى الجانب الشرقى بهذه الكرة و أن يتبع الأسباب العلوية مرة ثانية بأسباب أخرى من جده و دأبه ، و هكذا يقول القرآن الكريم فى الآيتين (٨٩) ، (٩٠) من سورة الكهف : (ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً) فمن ذلك يظهر أن الرحلة الثانية كانت صوب الشرق ، إذ وجدها تشرق على مخلوقات هذه المنطقة دون ستر ، و أن الشمس حينما كانت تطلع جهة الشرق كان بينها و بين جهات أخرى من العالم ستر ، و هو ما يؤيد القاعدة العلمية لكروية الأرض .

و لعل فى التعبير القرآنى بلفظ (كذلك) ما يؤيد كروية الأرض مرة أخرى ، من حيث أن شروق الشمس على جهة ، غروب لها فى جهة أخرى ، وأنه رأى الجهتين فى الغرب و الشرق متماثلتين فى استمرار غروب الشمس و استمرار شروقها على مختلف جوانب الكرة الأرضية ، ومن إعجاز القرآن العظيم أن كلمة (كذلك) و كل كلمة فى هذه القصة توحى بكروية الأرض دون تكلف ، و كذلك اختلاف التعبير القرآنى بعبارة (وجدها

تغرب) فى الرحلة الأولى و بعبارة (وجدها تطلع) فى الرحلة الثانية يتمشى مع اختلاف الموقع للعالم الرحالة من الشمس ، فانه عند ما بدأ الرحلة من الشرق بعد الغروب وجدها فوق المحيط الأطلسى مستمرة فى غروبها ، و عند ما أعاد الرحلة مستقبلا الشمس من جهة الشرق قبل طلوعها فى مصر مثلا وجدها تطلع جهة المحيط الهادى ، وفى هذا ما يزيد المؤمن هداية إلى أن القرآن العظيم منزل بعلم الله سبحانه : (قل لوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) فاذا تقررت كروية الأرض و تقررت أن (ذو القرنين) كان يتابع الشمس فى تنقلاته بما وهب من طاقات علمية ، وأنه رآها تغرب فى مصر ، و يشتد ضوؤها و زهومتها فى الأطلسى ، و رآها تطلع فى الشرق بينما تكون مستورة عن الأطلسى و بلاد أخرى من العالم ـ أدركنا أن فى كل ما تقدم من تنقلاته و إصلاحاته و طاقاته ـ ما يحير الألباب و يدهش الأذهان و يمهد لها طريق البحث و الدراسة ، و يدعو إلى زيادة الايمان بالله الذى أحاط بكل شئ علماً ، و أحاط بما لدى (ذو القرنين) خبراً .

ونعود إلى معنى قول الله تبارك وتعالى : (لم نجعل لهم من دونها ستراً) أى حجاباً كما جاء فى كتاب الله من قصة سليمان فى الآية (٣٢) من سورة (ص) : (قال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) أى الشمس فى الغروب . و الحجاب المذكور فى هذه الآية يماثل الستر المذكور فى آية : (لم نجعل لهم من دونها ستراً) غير أن التعبير الأول جاء فى وصف الشمس عند الشروق و الثانى ورد فى وصفها وقت الغروب .

رحلته صوب الشمال :

بعد هاتين الرحلتين كان لا بد للمكتشف الرحالة من التفكير فى رحلة

ثالثة ككل عالم طموح ، قام برحلته الأولى صوب الغرب و برحلته الثانية صوب الشرق ، فلم يبق إلا أن يرحل صوب الشمال إتماماً لرسالته ، وإشباعاً لنهمه العلمى ، و إرضاءاً لرغبته فى التعرف على مابقى فى الأرض من بقاع ، و مواصلة لهمته فى مختلف جهاتها — إزالة لما حل من فساد بها ، ومن أخطار محدقة بوجودها ، وكان أمر الله وتوجيهاته فوق ذلك كله ، فكانت الرحلة التى هى موضوع الآيات (٩٢ - ٩٩) من سورة الكهف ، قال سبحانه فى مطلعها : (ثم أتبع سبباً حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولا) . . . أتبع سبباً : أى أردف السبب العلوى بعزمته و تجاربه ومضائه ، لأداء رسالته و متابعة رحلاته حتى بلغ بين السدين ولعل المراد بالسدين : السد الذى يحجب عنا الشمس قبل الشروق و السد الذى يحجبها عنا بعد الغروب ، وهو ما يحدد منطقة الوصول عند نهاية السدين فى الشمال حيث لايوجد الساتر اليومى — دون الشمس : (وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا) ولعل فى بقية الآية ما ينطبق على سكان المناطق الباردة — (بلاد الاسكيمو) حيث أنهم فى حالة اشتداد البرد يتخاطبون بلغة الاشارة لتغطية رؤوسهم لئلا تتساقط قسماتهم بتجمد آذانهم و أنوفهم و ربما تجمد لعابهم و دموعهم على خدودهم فيما لو فتحوا أفواههم و كشفوا عن وجناتهم ، و لعل هذا ما يعبر عنه كتاب الله بقوله : — (لايكادون يفقهون قولا) وللاشارات حركات تذب عنهم بعض الصقيع بما تكسبهم من طاقات حرارية فخاطبوه باللغة التى تعودوها ، كما جاء بالآية الكريمة : (قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا و بينهم سداً) الآية (٩٤) من سورة الكهف ، وأدرك ذو القرنين أنهم يعرضون عليه أموالا تجمع من القادرين لبناء سد يحول بينهم و بين هؤلاء المفسدين .

التعاون لدرء الأخطار :

و لكن رد (ذو القرنين) الذى آتاه الله العلم والحكمة و التمكين : (قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً) الآية (٩٥) من سورة الكهف فكأنه يقول : (إن ما أعطانيه الله من علم وطاقة و عزمة - خير لى ولكم مما تعرضونه من أموال تجمع لبناء السد المطلوب، أريدكم قوة جماعية و تعاوناً مشتركا شاملا ، حتى نطوق هؤلاء الأشرار بردم محكم يحول دون وصولهم إليكم، لأن الأخطار الجسام لاتدرأ بالأموال وحدها، ولكن بالعلم النافع والتعاون الشامل - بكل الامكانات المتاحة : (آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين - قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً . فمااسطاعوا أن يظهروه وما ستطاعوا له نقباً (الآيتان (٩٦ ، ٩٧ من سورة الكهف) .

طبيعة يأجوج ومأجوج :

يظهر أن يأجوج ومأجوج - مخلوقات نارية ممغنطة و إلا لما عاشت بين طبقات الجحيم و لما كتب لها البقاء فى السجن الحديدى المحكم آلاف السنين ، ولعل مما يساعد على أن هذه المخلوقات ناريه ممغنطة ، أن كلمة (أج) فى اللغة تعنى بـ «اشتعل» وأن المنطقة ممغنطة ، ولعل هذه المخلوقاتُ من بقايا ما كان يعيش حول الأرض قبل تغليفها بالقشوة الترابية ، كالجن مثلا فى عنصره النارى وأسبقيته فى الخلق و التكوين - على مخلوقات الأرض الطينية ، من قبيل ماجاء فى قوله سبحانه : (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم) الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة الحجر ، وإن خطر هذه المخلوقات على الأرض وسكانها جسيم ، فكان لذى القرنين - ما أراد ،

وجيء له بالكتل الحديدية الكبيرة فى مكان الردم (١) .

فلما أتم التساوى و التعادل بين الصدفين (٢) أمرهم بالنفخ (٣) كما رواه كتاب الله : (قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً) (٤) ولعل للنفخ فى الحديد المشتعل فائدتين ، الأولى : لزيادة اشتعاله وإذابته ، - و الثانية : لتجويفه ، حتى يغطى جميع جهات الردم و يتسع لهذه المخلوقات الشريرة و يصبح سجنالها إلى ماشاء الله ، ولعله لحماية منطقة الردم الممغنطة من أى عامل خارجى قد يؤثر على التساوى و التعادل - أمرهم المهندس العظيم والرحالة الكبير ذو القرنين باحضار القطر لاراقته فوق الردم ، حتى تكون عليه طبقة عازلة ، والقطر (لغة) كل ماتتابعت قطراته ككل سائل ، والقطران سائل معروف بخاصيته الطبيعية العازلة ، و يظهر من ذلك أن هذه المخلوقات المتمردة فقدت وزنها و قدرتها على الاتجاه ، و عجزت عن استظهار الردم أو نقبه ، بل أصبحوا وقد شدوا بجاذبية الحديد من كل ناحية ، وهذا مما يظهر من قوله سبحانه : - (فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً) الآية (٩٧) الكهف ، ومن البديهى أن يتماوجوا تماوجاً مغنطيسياً - استجابة لتعادل

(١) و الظاهر أن وضع الكتل الحديدية الكبيرة فى قاع الردم - أضمن طريقة لتجميع وحصر هذه المخلوقات الممغنطة ، و ذلك لما بين الحديد و المغاطيس من التجاذب و انجذاب الجرم الأخف إلى الجرم الأثقل .

(٢) إن التساوى و التعادل لايكون إلا بين جهتين متقابلتين من جهات الردم الست ، و إن كل تساو فى القوة بين شيئين متضادين فى الاتجاه - يؤول إلى صفر ، شأن كفتى الميزان فى حالة التعادل فانه يساوى صفراً ، وكمعادلة واحد ناقص واحد يساوى صفراً ، الأمر الذى جعل هذا الخلق الممغنط مشلول الحركة و بوزن الصفر إذ لم يستطع ظهور الردم إلى فوق ، كما لم يستطع الوصول لنقبه من الجوانب .

(٣) و يظهر أن هذا النفخ غير النفخ المادى بطريق الأفواه إذ أن من البديهى لعالم أوتى التمكين فى الأرض وجمعت له أسباب العلوم و الطاقات أن يستعمل علومه و طاقاته فى النفخ أيضاً .

(٤) و من معانى القطر النحاس المذاب .

المغناطيس فى الجهات الست المتساوية الأبعـاد ، و يؤيد ذلك قوله سبحانه : (تركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) فلما فرغ من إحكام الردم على هـذه المخلوقات الضارة قال : (هذا رحمة من ربى) وسيظل يأجوج و مأجوج فى هذا الوضع حتى يأتى أمر الله بقرب نهاية الكون وفناءه ، مصداقاً لقوله سبحانه : (فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً) الآية (٩٨) من سورة الكهف ، و كما جاء فى سورة أخرى من كتاب الله سبحانه : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق) الآيتان (٩٦ ، ٩٧) من سورة الأنبياء .

« يتبع »

(بقية المنشور على ص ٢٧)

فى مناجاته لله « السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته السلام علينا و على عباد الله الصالحين » و يكون ذلك فى كل صلاة يصليها فاذا ما انتهى منها كان السلام ختامها كما نجد أن الجنة دار السلام « لهم دار السلام عند ربهم » و أن تحية المسلمين حين يلقون ربهم هى السلام « تحيتهم يوم يلقونه سلام » و أن المؤمنين حين يدخلون الجنة يكتنفهم السلام و الأمان « ادخلوها بسلام آمنين » و أن تحية الملائكة لهم هى السلام « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » « و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم » و أن أهل الجنـة حين يتزاورون فى الجنـة يتبادلون تحيتهم بالسلام « دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام » .

الاسلام دين السلام

بقلم فضيلة الشيخ سعد المرصفى

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعـام . و تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف .

(رواه البخارى و مسلم و أبو داؤد والنسائى و ابن ماجة)

من خصائص الاسلام الكبرى أن دعوته عامة للناس جميعاً . « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً » « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » . و فى الحديث الذى يرويه البخارى و مسلم و النسائى . يقول النبى ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً و طهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل . و أحلت لى الغنائم و لم تحل لأحد قبلى . وأعطيت الشفاعة . وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة . و بعثت إلى الناس عامة . » و القرآن الكريم يتجه فى خطابه إلى الانسانية عامة أكثر مما يتجه إلى المسلمين . فقد تكرر لفظ « الناس » فيه أكثر من مائتين و أربعين مرة . و تكرر لفظ « الانسان » فيه خمساً و ستين مرة . بينما لم يتكرر لفظ « المسلمين » فيه أكثر من اثنتين و أربعين مرة .

الأمر الذى تلفت النظر إلى عموم الدعوة للناس أجمعين ، و إلى أن

الاسلام الحنيف يزن الناس بميزان واحد ، فهم بنو آدم و آدم من تراب ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ، « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساءاً ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً »

و تحتل فكرة السلام المكانة العليا بين تعاليم الاسلام ، و تبرز واضحة جلية بين أهدافه و مقاصده ، حتى نجد أن كلمة « السلام » قد وردت فى القرآن الكريم نيفاً و أربعين مرة ، و كل هـذا يشير إلى توثيق أواصر القربى بين الناس ، وفى الوقت نفسه يدعوهم إلى أن يعيشوا على ظهر هذه الأرض إخوة متعاونين و متراحمين لا متزاحمين و كيف يتقاتلون و يتزاحمون و هم أبناء رجل واحد ، و عباد رب واحد ؟ و كيف يتقاتلون و يتزاحمون و مقتضى اتحاد الأصل و وحدانية الخالق المعبود هو تآلف الفروع التى يضمها هـذا الأصل الواحد .

وأخوة العابدين المخلوقين وتعاونهم جميعاً على القيام بواجب الرحم وبحق المعبود الذى يبغضه أن تتفرق السبل بعبـاده وأن يبغى بعضهم على بعض ؟ و كيف يعيشون بقلوب مغلقـه و نفوس مضطربة و حيث لا أمن لا سلام بل حروب هنا و حروب هناك لا فرق بين منطقة و أخرى فالعـالم يعيش المأساة و يصطلى بنارها رغم أنه قد وقع فى عالمنا المعاصر بين حربين عالميتين فى فترة وجيزة أزهقت فيهما الأرواح وسفكت الدماء و رغم أن كل مايفتق عنه ذهن البشرية هو ميلاد مجلس الأمن فى أول الأربعينات من هذا القرن؟ و لا نسترسل فى سرد هذا الواقع الأليم .

ولكن علينا أن ننبه الأذهان إلى مكانة السلام فى الاسلام و أنه دين السلام بكل ما تحمله الكلمة من معان فماذا نجد ؟ نجـد أن أول خطاب من الحق تبارك و تعالى لأول رسول هبط على الأرض بعد أن انحسر الطوفان عنها هو الدعوة إلى السلام و الحث على نشره فى آفاق هـذه الدنيا الجديدة .

« هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون » كما نجد أن الحق جل شأنه لم يبعث نبياً . و لم يرسل رسولا إلا و منحه السلام و أفاضه عليه ليكون شعاره فى حياته و أساساً لدعوته للناس : « سلام على نوح فى العالمين » كما نجـد أن الليلة المباركة التى أنزل الله فيها القرآن الكريم يكتنفها السلام من أولها إلى آخرها : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر و ما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » كما نجد أن من صفات عباد الرحمن كما فى سورة الفرقان أنهم حملة السلام فى الأرض و دعاته بين الخلق يقابلون به جهل الجاهليـة و طوفان المادية و غباء الالحادية و يقولونه للناس « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » كما نجد أن السلام تحية المسلمين عند لقائهم و تزاورهم . و أن هذه التحية سنة و شعار و علامة إيمان من شأنها أن تؤلف القلوب . يروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولاتؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم ».
(و رواه أبو داؤد و الترمذى)

و يمتد ذلك إلى أن يكون تحية المسلم للتنبيه فى الصلاة و تحيته لاخوانه

(البقية على ص ٢٤)

الدّعوة الإسلاميّة

الدعوة إلى الله

حماية المجتمع من الجاهلية ، و صيانة الدين من التحريف

فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

[كتب هذا المقال للمؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة و إعداد الدعاة الذى عقدته الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، فى الفترة بين ٢٤ صفر — ٢٩ صفر ١٣٩٧ ه ، و نشر و وزع على جميع أعضاء المؤتمر]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين و من اتبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فانني سأتحدث فى هذه المناسبة الكريمة و هى « دورة مؤتمر الدعوة » التى تعقدها الجامعة الاسلامية فى مدرسة الدعوة الاسلامية الأولى ومنطلق الدعاة إلى الله فى العالم « المدينة المنورة » عن بعض السمات البارزة التى يجب أن تتسم بها الدعوة والدعاة فى هذا العصر حتى يستطيعوا أن يقوموا بدور الدعوة فى أتم وجــه و يبلغوا رسالة الرسل عليهم السلام و يؤثروا التأثير المطلوب .

أما الدعوة الاسلامية فيجب أن تكون هذه الدعوة جامعة بين تحريك الايمان فى نفوس المخاطبين و المجتمع الاسلامى ، وإثارة الشعور الدينى ، وبين إكمال الوعى و تنميته و تربيته ، فان المتتبع لأحوال العــالم الاسلامى اليوم و واقع الأقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام و حبها له هو الحاجز السميك و السد المنيع لكثير من

القيادات التى خضعت للحضارة الغربية و قيمها ومفاهيمها ، وفلسفاتها ونظمها ، و آمنت بها إيماناً كايمان المتــدينين بالديانات و المؤمنين بالشرائع السماوية ، وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته و أحداثه ، و كرسالة خالدة عالمية ، فاسلام هذه الشعوب و المجتمعات و كونها لا تفهم إلا لغة الايمان و القرآن و لا تندفع إلا لما يجئ عن طريقهما ، و لما يمس قلبها ويخاطب ضميرها ، يعوق كثيراً من هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذاً كلياً و إعلان الحرب عليه ، و قد لجأ بعض هذه القيادات فى ساعات عصيبة إلى إثارة هذا الايمـان و الحماس الدينى ، و استخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، وإلى إيمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة ، فرفعت هتاف التكبير « الجهاد » و «الشهادة» فى سبيل الله ، و محاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر فى حربها مع الفرنسيين و باكستان فى حرب ١٩٦٥م ، و جربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة .

فأصبح إيمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هــذه البلاد . و كثير من القيادات و الحكومات الاسلامية فى حظيرة الاسلام ، فاذا تهدم هذا السور - لا سمح بذلك - أو تسوره دعاة الكفر و اللادينية ، أو تيار الردة الفكرية والحضارية فالخطر كل الخطر على الاسلام فى هذه البلاد ، ولا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسلام ، و المضمرين له العداء والحقد شئ من أن يخلعوا العذار ويطرحوا الحشمة و التكلف ، ويجردوا هــذه الأقطار و الشعوب العريقة فى الاسلام من كل ما يمت إلى الاسلام بصلة ، فان الشئ الوحيد الذى يخافون معرته ،

و يحسبون له حساباً هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الايمان و الحماس الاسلامى ، فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسى الحكم و مركز القيادة ، فاذا زال الحاجز لم يقف فى وجههم شئ .

إذن فيجب على دعاة الاسلام و العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الايمان فى نفوس الشعوب والجماهير ، والمحافظة على الجمرة الايمانية من أن لا تنطفئ .

ولا يصح الاقتصار على تحريك الايمان ، وإثارة العاطفة الدينية فى نفوس الشعوب و الجماهير ، بل يجب أن تضم إليــه تنمية الوعى الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق و القضايا ، و التميز بين الصديق و العدو ، وعدم الانخداع بالشعارات و المظاهر ، فقـد رأينـا أن الشعوب التى يضعف فيها هـذا الوعى أو تحرمه يتسلط عليها - رغم تمسكها بالاسلام و حبها له - قائد منافق ، أو زعيم ماكر أوعــدو جبار ، فيصفق له الشعب بكل حرارة و يسير فى ركابه ، (١) فيسوقها بالعصا سوق الراعى لقطعان من الغنم ، لا تعقل و لا تملك من أمرها شيئاً ، و لا يمنعها تمسكها بالاسلام و حبها له من أن تكون فريسة سهلة أو لقمة سائغة للقيادات اللادينية أو المؤامرات ضد الاسلام .

وقد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الأول المثالى الصحابة رضى الله عنهم بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة بالجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه ، والايمان القوى الذى لا يعتريه وهن ، و بين الوعى الناضج الكامل ، فكانوا لا يخدعون و لا ينخدعون ، ولا يسيغون شيئاً ينافى الاسلام و ينافى العقل ، و الذى يضرهم و يجنى عليهم ، أو يوقعهم فى خطر أو تهلكة ، قد بلغوا من

(١) كما وقع فى مصر فى عهد جمال عبد الناصر .

الرشد و استكملوا الحصافة و النضج ، فلا يؤخذون على غرة و لا يقعون فى شرك ينصبه العدو الماكر ، يخطئون و لكن لا يصرون ، و لا تتكرر منهم غلطات و تورطات ، و قد جاء فى حديث صحيح « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » بخلاف الشعوب الفاقدة الوعى فهى تلدغ مرة بعد مرة ، و ذلك لأن رسول الله ﷺ أخذهم بتربية و تعاليم أمنوا بها عن الوقوع فى الشباك ، و امتنعوا بها عن قبول ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، و آدابه و الفطر السليمة و العقول المستقيمة ، فكان مجتمعاً نموذجياً مثالياً فى كل شئ .

أعرض لكم - على سبيل المثال - مثالين من هذا العقل الحصيف و الوعى الكامل :

الأول أن النبى ﷺ قال مرة « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » وهو مثل جاهلى قديم و عرف من أعراف العرب الأولين ، تمسك به العرب فى جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ بن حجر فى شرح هذا الحديث فى كتابه الجليل فتح البارى فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه الصحابة - و قد نشأوا فى الجاهلية و عاشوا فى الجزيرة - إما بالقبول و إما بالسكوت .

و قد صدر هذا الكلام من النبى المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » و قد عرف حبهم لنبيهم ﷺ و فداؤهم له بالنفس ، و النفيس ، وكان حباً لا نظير له فى تاريخ الديانات والرسالات ، وفى تاريخ الحب و الطاعة العالمى ، و كان تفسيراً للحديث المشهور « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله و ولده و الناس أجمعين » و جاء فى بعض الروايات « من نفسه » ، ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل أو الاستيضاح فان ظاهر الكلام كان ينافى ما فهموه من تعليم الاسلام وما شاهدوه من تربية

الرسول و أخلاقه ، و ما آمنوا به من مبدأ الانصاف و المساواة و قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » و قوله تعالى « و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » فقالوا يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ، هنالك فسره رسول الله ﷺ تفسيراً يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه (١) » ، هنالك اقتنع الصحابة رضى الله عنهم ، و شفيت صدورهم ، فازدادوا إيماناً على إيمان ، وهو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعى الايمانى العقلى الذى كان شعاراً لصحابة الرسول ﷺ و الصدر الأول .

و المثال الثانى أن رسول الله ﷺ أرسل سرية ، وأمر الصحابة بطاعة الأمير ، و قد كان فى هذه السرية مالم يرض الأمير ، و شك فى انقيادهم له فأمر بالحطب ، فجمع ، وأمر بالنار فأشعلت ، ثم قال: خوضوها ، فامتنع الصحابة رضى الله عنهم عن طاعته فى ذلك ، لأنه « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » و قالوا إنما فررنا من النار، و لما رجع إلى المدينة شكا إلى رسول الله ﷺ فصوب فعلهم، وقال « لو دخلوا فيها لم يزالوا فيها، وقال لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف (٢) .

و كانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية فى إيمانها ، الغنية فى مظاهرها الايمانية و مراكزها الدينية و ثروتها العلمية ، أنها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية و النعرات القومية أو العصبيات اللغوية والثقافية ، ولعبة

(١) حديث متفق عليه .
(٢) إقرأ القصة بطولها فى سنن أبى داؤد كتاب الجهاد .

القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، و ذهبت ضحية سذاجتها و ضعفها فى الوعى الدينى ، و العقل الايمانى كما وقع فى باكستان الشرقية فى ١٩٧١ م ، المصادفة ١٣٩١ هـ قامت فيها بجزرة إنسانيـــة هائلة ، و ما ذلك إلا بسحر دعوات العصبية اللغوية و العصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم ، المؤمن الذى كان له تاريخ مجيد فى البطولات الاسلامية و خدمـــة الاسلام و العلم ، و نهض فيه علماء كبار و دعاة إلى الله ، و غصت بلادها بالمساجد والمدارس و كانت عاصفة هوجاء هبت ثم ركدت ، و نار حامية التهبت ثم انطفأت ، ولكنها زلزلت أركان الاسلام فى هذه المنطقة ، وأضعفت الكيان الاسلامى ، وكانت حجة لأعداء الاسلام الذين يقولون إن الاسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية و لا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه .

و واجب ثالث مقدس من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلاميـة من التحريف ، و إخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية و الاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة ، و بيئات مختلفة و لها خلفيات و عوامل و تاريخ ، وهى خاضعة دائماً للتطور و التغيير فيجب أن نغار على هـــذه الحقائق الدينيـــة و المصطلحات الاسلاميـة غيرتنا على المقدسات و على الأعراض والكرامات بل أكثر منها و أشد ، لأنها حصون الاسلام المنيعـــة و حماه و شعائره ، و إخضاعها للتصورات الحديثه أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبيـة إساءة إليها لا إحسان ، وإضعاف لها لا تقوية ، و تعريض للخطر لا حصانة ، و نزول بها إلى المستوى الواطئ المنخفض لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس ، فاذا قلنا : الحج مؤتمر إسلامى عالمى ، لم ننصف للحج ولم ننصف لمن نخاطبه

و نريد أن نفهمه حقيقة الحج و روحه ، و لما شرع له ولم ننصح لكليهما ، و أن روح الحج و سر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء ، ولو كان الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً لكان له شأن و نظام غير هذا النظام ، وجو غير هذا الجو ، و لكان النداء له مقصوراً على طبقات مثقفة واعيـــة فقط و على قادة الرأى و زعماء المسلمين (١) .

كذلك حقيقة العبادة و حقيقة الصلاة ، و حقيقـــة الزكاة و الصوم ، فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجنى عليها ، وإخضاعها للفلسفات الجديدة و تفسيرها بالشئ الذى لا ثقة به و لا قرار له ، و قد استخدمت هـــذه « الاستراتجية الدعائية » الباطنيـة فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ، ففسروا المصطلحات الدينية بما شاؤا وشأت أهواؤهم و مصالحهم و تفننوا فيه ، وأتوا بالعجب العجاب ، و حققوا به غرضهم من إزالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعـة الاسلامية و حصونها ، و شعائرها ، و نشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى ، و الجماهير المسلمـــة ، و إذا فقدت هذه الكلمات التى توارثت فهمها الأجيال المسلمة و تواتر فى المسلمين ، و أصبح فيها مساغ لكل داع إلى نحلة جديدة ، و رأى شاذ ، و قول طريف ، فقد أصبحت قلعـــة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم و لكل منافق ، و زالت الثقة بالقرآن والحديث و اللغة العربيـــة ، و جاز لكل قائل أن يقول ما شاء و يدعو إلى ما شاء ، و هذه فتنة لا تساويها فتنة و خطر لا يكافئه خطر .

إن مفاهيم هذه الكلمات معينة ـ على اتساعها و بلاغتها و عمقها وكثرة معانيها ـ و إن الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة

(١) راجع معرفة أسرار الحج و مقاصد الشريعة الاسلامية فيه فى كتابنا « الأركان الأربعة » .

و الصوم و الحج و نظمها الظاهرة ، و تناقلتها و حافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة ، و إنه معنى قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » و « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا » و هو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه لا تجتمع أمتى على الضلالة (١) ، و قد أثبت شيخ الاسلام ابن تيمية أن سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى ، وأنها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق .

و الكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى و الحقائق من جيل إلى جيل و من عصر إلى عصر ، ومن إنسان إلى إنسان ، فاذا وقع الشك فى مدلول هذه الكلمات و مصداقها ، أو صار التلاعب بها هيناً اضطربت دعائم الدين و تزلزلت أركانه ، و هذا يعم التاريخ والشعر و الأدب ، لذلك كانت الفوضى اللغوية (Linguistic Anarchy) أشد خطراً و أكثر ضرراً من الفوضى السياسية (Political Anarchy) (٢) .

و ليست قضية الأسماء و المصطلحات من البساطة بالمكان الذى يتصور

---

(١) أنظر البحث فى هذا الحديث فى كتابنا « النبوة والأنبياء » .

(٢) و من أمثلة هذا التلاعب بالمصطلحات الدينية ، أن أستاذاً فى إحدى جامعات الهند الكبرى ، وهو يدرس اللغة العربية و آدابها ، ألقى محاضرة فى دورة مؤتمر الدراسات الاسلامية الأخيرة قال فيها : إن المراد بكلمة « الصلاة » حيثما وردت فى القرآن مطلقة « الحكومة المحلية » أو « الأقليمية » ، والمراد « بالصلاة الوسطى » الحكومة المركزية أو « الخلافة العامة » و كان المقال باللغة العربية ، و قد رددت عليه فى حينه و قلت : فى تعليق عليه : إنه تلاعب بالقرآن و بالعقل وتمهيد لفوضى لغوية فكرية ، و فتح الباب للالحاد على مصراعيه ، ونالت هذه الكلمة رضا المستمعين وتلقوها بالقبول والاستحسان .

كثير من الناس ، فانها تؤثر فى النفس تأثيراً خاصاً ، وتثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى و ذات الصلة بالعقائد و الأعراف أحياناً ، و لذلك كره رسول الله ﷺ أن يقال « العتمة » مكان العشاء و « يوم العروبة » بدل الجمعة ، و استبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة ، و لها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية .

وكذلك أحذركم أيها الاخوان مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية و فرائض الاسلام كالصلاة و الزكاة و الصيام والحج وسائل لا غايات ، إنما شرعت لاقامة الحكم الاسلامى وتنظيم المجتمع المسلم ، و تقويته ، و أحذركم من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد و ربه و امتثال الأمر ، و من التوسع فى بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية و السياسية و الاقتصادية أحياناً ، توسعاً يخيل للخاطب أو القارئ أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية ، قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة و نظام ، أو صحة بدنية و فوائد طبية فان أول أضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها و قوتها و هو امتثال أمر الله و طلب رضاه بذلك ، و الايمان و الاحتساب و القرب عند الله تعالى ، و هى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة ، و فراغ لا يملأ بأى شئ فى الدنيا .

والضرر الثانى أنه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين إلى أساليب أخرى قد تكون أنفع أو يخيل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الاجتماعية أو التنظيمية أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان و العبادات الشرعية ، و تمسكوا بهذه الأساليب أو التجارب الجديدة ، وبذلك

يكون الدين دائماً معرضاً للخطر و لعبة للعابثين و المحرفين .

و هذا لا ينافى الغوص فى أعماق هذه الأركان و الأحكام و الحقائق الدينية ، و الكشف عن أسرارها و فوائدها الاجتماعية ، و قد أفاض علماء الاسلام قديماً و حديثاً فى بيان مقاصد الشريعة الاسلامية و أسرار العبادات و الفرائض و الأحكام الشرعية ، و ألفوا كتباً مستقلة وكتبوا بحوثاً جليلة ، كالغزالى و الخطابى ، و عز الدين بن عبد السلام و ابن قيم الجوزية ، و أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، و لكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والأحكام و الغاية الأولى التى شرعت لها ، وهى امتثال الأمر الالهى ، و التقرب إليه بذلك و الايمان و الاحتساب فيها و من غير إخضاع لها للفلسفات العجمية أو الأجنبية فى عصرهم ، و من غير خضوع بسحرها و بريقها .

و أحذركم ثانياً أيها الشباب من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية و الشرك الجلى من عبادة غير الله و السجود له و تقديم النذور و القرابين و إشراكه فى صفات الله من قدرة و علم و تصرف و إماتة و إحياء ، و إسعاد و إشقاء ، و أحذركم من الاكتفاء بالتركيز على شناعة الخضوع للحكومات و النظم الانسانية و التشريعات البشرية ، و تحويل حق التشريع للانسان ، و أن ذلك هو وحده عبادة الطاغوت و الشرك ، و أن الوثنية الأولى و عبادة غير الله قد فقدت أهميتها ، و إنما كانت لها الأهمية فى العصر القديم ، العصر البدائى ، و أنه لا يقبل عليها الآن إلا الرجل الجاهل الذى لا ثقافة له ، فضلا عن أن هذه الوثنية والشرك الجلى لا يزال له شيوع وانتشار ، و دولة و صولة يجربه كل إنسان فى كل زمان و مكان ، فانها الغاية الأولى التى بعث لها الأنبياء و أنزلت لها الكتب السماوية ، و قامت لها سوق الجنة

و النار . و كانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة ، و كانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ، والقرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلا (١) .

و إن كل ما يقلل من أهمية محاربة الشرك الجلى و عبادة غير الله سواءا كانوا أشخاصاً أو أرواحاً ، أو ضرائح ومشاهد ، والعناية بمحاربة النظم والتشريعات و الحكومات فحسب إحباط لجهود الأنبياء و اتجاه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجديد السياسى ، وهو تحريف لا محالة ، هذا من غير أن أقلل من قيمة التركيز على أن التشريع لله وحده ، وله الحكم والأمر وحده ، وأن من يدعو إلى طاعة نفسه الطاعة المطلقة العمياء منافس للرب و الطاغوت ، و أنه يجب أن يدعى إلى التشريع الالهى و إلى إقامة الحكم الاسلامى القائم على منهاج الكتاب و السنة و منهاج الخلافة الراشدة ، وأن لا يدخر سعى فى ذلك ولكن من غير أن يكون ذلك على حساب الدعوة إلى التوحيد و الدين الخالص ، و محاربة الوثنية و الشرك ، فانهما لا تزال فى الدرجة الأولى و هى أكثر انتشاراً ، و أعظم خطراً فى الدنيا و الآخرة ، فقد قال الله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » و « من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيما » و قد قال « فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

أما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة

---

(١) إقرأ على سبيل المثال سورة « الأعراف » و سورة « هود » و سورة « الشعراء » والحديث عن كل نبى و دعوته .

إلى الله ، فانى أركز فى هذا الحديث المعجز على نقطة واحدة ، و هو أنه يجب أن يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء و الجماهير ، و دعاة النظم الجديدة و الفلسفات الجديدة ، و الفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة إيمانهم وحرارة قلوبهم ، و زهدهم فى زخارف الدنيا و فضول العيش ونهامة للمادية ، ومرض التكاثر ، فانهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ، ويحملوهم على إيثار الدين على الدنيا و الآجلة على العاجلة ، و تلبية نداء الضمير و الايمان على نداء المعدة و النفس والشهوات ، و إشعال مجامر قلوبهم التى انطفأت أو كادت تنطفئ ، إلا إذا شعر الناس فيهم بشئ لا يجدونه فى قلوبهم و حياتهم ، فان الناس ما زالوا و لا يزالون مفطورين على الاجلال لشئ لا يجدونه عندهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى ، و الفقير مفطور على احـترام الغنى ، و الأمى مفطور على احترام العالم . حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، أما إذا رأى الناس علماء و دعاة لا يقلون فى حب المادة و الجرى وراءها و التنافس فى الوظائف و المناصب و الاكثار من الثراء و الرخاء ، والتوسع فى المطاعم و المشارب ، و خفض العيش و لين الحياة ، فانهم لا يرون لهم فضلا عليهم و حقاً فى الدعوة إلى الله ، و إيثار الآخرة على الدنيا ، والتمرد على الشهوات ، و التماسك أمام المغريات ، و قد قيل « إن فاقد الشئ لا يعطيه » و كذلك القلب الخاوى لا يملأ قلباً آخر بالايمان و الحنان ، وأن الموت لا ينشئ الحياة . و أن البرودة لا تعطى الحرارة ، و أن الرماد الذى لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ولا يحيى النفوس الميتة ، و الكشاف لا ينير الطريق إذا كانت قد نفدت شحنته ، فلا بد أن تشحن القلوب بشحنة جديدة ، و إذا كانت بطارية من غير شحنة كانت أقل غناء و قيمة من عصا

يحملها الانسان ، فقيمة البطارية الشحنة وقيمة الشحنة النور ، فاذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة و لا نور فالعصا خير منه .

أسألكم أيها الاخوان أليس هذا العصر هو العصر الذى انتشر فيه العلم و كثرت فيه وسائل الاعلام و التربية ، و ازدهرت فيه الخطابة و الكتابة ، و بلغت حد الشعر والسحر ، وعمت الجامعات فى كل مكان ، و تدفق السيل من المطبوعات و المنشورات من المطابع و دور النشر ، ونبغ فيها علماء وباحثون و وعاظ و مرشدون . فلماذا فقد العلماء و الموجهون التأثير فى النفوس والقلوب فى صد تيار المادية و الاستغلال و الجشع و النهامة للمال ؟ هذه البلاد العربية ـ بما فيها البلاد المقدسة ـ أصبحت مصداقاً لما أخبر به الرسول ﷺ فى إحدى خطبه قبل وفاته « ما الفقر أخشى عليكم و لكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم »

و أخوف ما نخاف أن تكتسح هذه البلاد الموجة العارمة من التكاثر فى الأموال ، و استغلال حاجة الناس و ضعفهم ، والانتهازية ، وهى الموجة التى لاتعرف الرحمة و الهوادة ، و مكارم الأخلاق التى عرف بها العرب فى العصر الجاهلى ، وربما يعود ذلك خطراً كبيراً على الحج و مركزه ، ويمكن أن يشكل محنة للوافدين إليه ، فيضطر الدعاة فى صـد هـذه الموجة إلى مكافحة خلقية و حملة دعوية تربوية تنظم لاصلاح الحال ، و إيقاظ الضمير ، وإثارة الغيرة الاسلامية و الشعور النبيل ، و تنطلق من المنابر و الصحف ، والاذاعة ووسائل الاعلام ، و تجند لها الطاقات و الألسن و الأقلام .

و سمة الدعوات الحية المخلصـة التى تقتبس النور من مشكاة النبوة ، وتسير على نهجها ، أنها تجس نبض المجتمع جساً صحيحاً أميناً ، و تهتدى إلى

الداء الحقيق ومواضع الضعف فى جسم هذا المجتمع ، وتضع الأصبع عليها ، وتضرب على الوتر الحساس ، من غير محاباة أو مداهنة ، ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه ، كما فعل شعيب فى دعوته ، فوجه دعوته — بعد الدعوة إلى التوحيد — إلى إيفاء الكيل ، و الوزن بالقسطاس المستقيم ، و شنع على التطفيف ، إذ كان ذلك عيب المجتمع الذى بعث فيه ، وسمته البارزة ، وكذلك فعل غيره من الأنبياء .

وهذه كانت سنة الدعاة إلى الله من المخلصين الربانيين فى تاريخ الاسلام ، فكانوا ينتقدون المجتمع فى الصميم ، و يصيبون المحز ، ولذلك كان وقع كلامهم فى النفوس عظيما وعميقاً ، وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم أو يمر بهم مرآ سريعاً ، أو يسلى نفسه بأنه إنما يعنون غيره من المجتمعات التى سبقت أو المجتمعات التى لم تخلق بعد ، و هذا كان شأن الحسن البصرى فى مواعظه إذ كان دائماً يشير إلى النفاق الذى كان داء المجتمع الاسلامى ، وهو فى أوج مجده و رخائه ، و يذم حب الدنيا و طول الأمل ، وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلانى ، فيدعو إلى التوحيد الخالص و قطع الرجاء ، و الخوف من غير الله ، وأنه لا يضر ولا ينفع سواه . لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء و الأمراء و أصحاب الحول و الطول و الأمر والنهى فى العاصمة ، وهذا كان شأن ابن الجوزى فى مواعظه الساحرة ، ومجالسه المزحومة ، فانه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التى كان يحياها كثير من الناس فى بغداد . وعلى الذنوب و المعاصى التى كانت تقترف جهاراً . و المنكرات التى شاعت ، فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون و يقلعون عن الذنوب و كان نشيج يعلو وقلوب ترق وعيون تدمع ، و موجة من الانابة و الرقة تكتسح الجموع الحاشدة

لأنه كان يمس القلوب و يصور الواقع ، و لا يكتفى بالكلام العام و الوعظ التقليدى (١) .

وهنا أنقل إليكم قطعة من كتابنا «رجال الفكر والدعوة فى الاسلام» و المؤلف يتحدث عن الامام أحمد بن حنبل و زهده .

« و قد رأينا الزهد و التجديد مترافقين فى تاريخ الاسلام ، فلا نعرف أحداً من قلب التيار و غير مجرى التاريخ ، و نفخ روحاً جديدة فى المجتمع الاسلامى أو افتتح عهداً جديداً فى تاريخ الاسلام ، و خلف تراثاً خالداً فى العلم و الفكر و الدين ، و ظل قروناً يؤثر فى الأفكار و الآراء ، و يسيطر على العلم و الأدب إلا و له نزعة فى الزهد ، و تغلب على الشهوات ، وسيطرة على المادة و رجالها ، ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة ، و الاعتداد بالشخصية و العقيدة ، و الاستهانة برجال المادة ، و بصرعى الشهوات ، و أسرى المعدة . و لذلك نرى كثيراً من العبقريين والنوابغ فى الأمم ، كانوا زهاداً فى الحياة ، متمردين على الشهوات ، وبعيدين عن الملوك و الأمراء و الأغنياء فى زمانهم ، و لأن الزهد يثير فى النفس كوامن القوة ، ويشعل المواهب ، ويلهب الروح ، وبالعكس أن الدعة والرخاوة تبلد الحس و تنيم النفس و تميت القلب .

و هناك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس و علم الأخلاق ، و لا أطيل بذكرها ، و اقتصر على هذه الملاحظات التاريخية ، وألح على أن منصب التجديد و البعث الجديد يتطلب لا محالة زهداً و ترفعاً عن المطامع و سفساف الأمور و يأبى الاندفاع إلى التيارات ، ويتنافى مع الحياة الوادعة

(١) اقرأ تفاصيل مجالس ابن الجوزى و تأثيرها فى كتاب «صيد الخاطر» و «رحلة ابن جبير» .

الرخية و العيشة الباذخة الثرية ، إنما هو خلافة للرسول الأعظم ﷺ ، وقد قيل له : « و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، و رزق ربك خير و أبقى » ، « وأمر بأن يقول لأزواجه » إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعكن و أسرحكن سراحاً جميلا » و هذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ، و من يرشح نفسه و يمنيها بهذا المنصب الخطير « و لن تجد لسنة الله تحويلا » (١) .

و من أبرز سمات الدعوة التى يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم أنها تقوم على الايمان بالآخرة و التحذير من عقابها و الترغيب فى نعمائها و ثوابها و يكون مناط العمل فيها الايمان و الاحتساب و الأجر و الثواب ، لا على الاغراء بالفوائد الدنيوية و الجاه و المنصب والمال و الملك فانه أساس ضعيف منهار و لا يتفق مع طبيعة دعوات الأنبياء ، و المساومة فيه سهلة ، و قد يملك أعداؤهم و خصومهم و القادة السياسيون مثله أو أكثر منه ، و من رضع بلبان هذه المطامع لم يمكن فطامه عنها ، و لا يصح الاعتماد عليه ، و إنما يبنون دعوتهم على رضى الله وثوابه وما أعده الله لعباده المؤمنين وما وعدهم به على لسان أنبيائه ، من نعيم لا يزول و لا يحول ، و الصحف السماوية — غير صحف العهد القديم والتوراة — (٢) مملوءة بالحديث عن الآخرة و الاهتمام بها و البناء عليها و قد جعل الاسلام الايمان بها عقيدة أساسية و شرطاً لصحة الايمان و النجاة و قد جاء فى القرآن صريحاً « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً و العاقبة للمتقين »

(١) رجال الفكر و الدعوة الجزء الأول ، ترجمة الامام أحمد بن حنبل ص ١٣٢ .

(١) فقد تجردت بعد التحريف ، من ذكر الآخرة و نعائها و الترغيب فيها بطريقة عجيبة .

و هنا استعير لنفسى من نفسى ما قلته فى إحدى المحاضرات التى ألقيتها فى هذه الجامعة العزيزة سنة ١٣٨٢هـ تحت عنوان « النبوة و الأنبياء فى ضوء القرآن » و اختم به هذا الحديث مؤملا فى أن تكون هذه السمات التى تحدثت عنها شعار الدعوة التى يقوم بها الدعاة المتخرجون فى هذه الجامعة أو القائمون بأعبائها فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى ، قلت وأنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية و بين الدعوات الاصلاحية :

« و لم تكن دعوة الأنبياء إلى الايمان بالآخرة أو الاشادة بها كضرورة خلقية أو كحاجة إصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة فضلا عن المجتمع الاسلامى . و هذا و إن كان يستحق التقدير و الاعجاب ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء و سيرتهم و منهج خلفائهم اختلافاً واضحاً ، و الفرق بينهما أن الأول منهج الأنبياء ، إيمان و وجدان ، و شعور و عاطفة وعقيدة تملك على الانسان مشاعره ، و تفكيره و تصرفاته ، و الثانى اعتراف وتقدير و قانون مرسوم ، وأن الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ ويدعون إليها بحماسة و قوة و آخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية و الحاجة الاجتماعية و بدافع من الاصلاح و التنظيم الخلقى ، و شتان ما بين الوجدان و العاطفة و بين الخضوع للنطق و المصالح الاجتماعية .

حركة إسلامية معاصرة :

جماعة الدعوة و التبليغ

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

« معرب »

إن العصر الراهن يمكن أن يسمى عصر استيلاء الفكرة الغربية المادية ، و وجهة النظر الدنيوية ، التى قد جعلت النظم التعليمية و وسائل الاعلام المتنوعة الكثيرة ، عامة سائدة فى جميع بلدان العالم ، و إن الثقافة الغربية و الفكرة الفلسفية قد بلغت من الشمول و الانتشار بحيث إن أولئك المسلمين العاملين فى الحركات المعاصرة الاسلامية - التى تدعو إلى النهضة و الانتفاضة الدينية - الذين يكرسون الجهود ضد الثقافة الغربية قد ينقلبون بأنفسهم عن غير شعور - عند ما يحتكون بها و يمارسونها عن كثب - غربيين فى معالجتهم للأمور و فى مناهجهم و أساليب أعمالهم ، و تفسيرهم للحياة .

فبامكان أى ناقد - عايشهم و احتك بهم - أن يذهب إلى القول بأن أغلبيتهم تبدو متبنية - أساسياً - تلك النظرة الغربية - فى حقيقتها و ذاتها - التى تضغط على الوجود المادى و الحاجات الدنيوية و متطلباتها أكثر من أن تضغط على الله ، و الروح و الآخرة ، الحقائق التى تضعها فى مكان التبعية ، بيد أن العقائد الدينية الاسلامية التى تتضمن الايمان أو العقيدة الأولية ، راسخة فيهم ومحكمة ، ولكنهم لا يعيرونها ذلك الاهتمام وتلك العناية التى يبذلونها فى غيرها ، بل جل العناية البالغة موجهة إلى تلك التعاليم و التصورات التى

وضعها الاسلام و بينها المجالات الحياة الدينوية المختلفة ، و مع أن أى عقيدة من العقائد الدينيــة الأساسية ، و أعمال الاخبات و الانابة إلى الله لا تجحد و لا تهجر ، و لكن الأهمية و الضغط على القوة الروحيــة التى يدعون إليها لا يشغلان إلا مساحة قليلة من نشاطاتهم ومجالات أعمالهم ، حتى إن الأشكال المفروضة للعبادات مثل الصلاة و الزكاة والصوم والحج لا تؤدى إلا لمنافعها المادية التى يكتسبها المسلمون منها ، من غير أن تعتبر هذه العبادات وسيلة صالحة فعالة لتزكيـة الروح ، و نيل رضا الله ، و الاستعداد للحياة الأخروية ، إن التحليل الدقيق النهائى يثبت أن هذه الحركات تحاول حصر الاسلام فى نظام اجتماعى سياسى ، على حين أن حقيقة العبادة الروحيـة الأصيلة ، و مكانتها الأساسية تركت من غير أن تركز عليها الأنظار ، و تسلط عليها الأضواء .

إن ناقداً يمكن أن يتوصل إلى نتيجة أن معظم هـذه الحركات لا تمتاز - إلا قليلا - عن المنظمات و الجمعيات السياسية و الاقتصادية الأخرى ، إلا أن أهلها يؤكدون على الطريقة الاسلاميـة للحياة - و لكن قولا لا فعلا - و ينادون إلى الاسلام كحل أحسن و أعلى لجميع المشاكل الانسانية ، إن دوائرهم و مكاتبهم لا تحمل إلا نفس الروح السائدة على أية دائرة عامة حيث يقوم الناس بالوظائف ، و الأعمال الادارية العامة فحسب ، إن تفسير الاسلام العقلى (Rationa istic) والعلمى المزعوم الذى يقلدون فيه الغرب و يسيرون على نهجه ، لاشك أنه غريب على الاسلام نفسه و لا يملك أى علاقة بالدعوة النبوية الأصيلة الأولى ، إنهم يفقدون - كلياً - تلك الصفات الروحية التى كانت عصارة الوحى الالهى و جوهره الحقيق ، و ما دام وجود الاسلام مرتبطاً بالعقيدة الراسخة و الايمان العميق كان مستحيلا إيجاد النهضة الاسلاميـة إلا

عن طريق إضاءة شعلة الايمان وإشعال القيم الخلقية و الروحية - التى يقررها الاسلام - فى نفوس عدد هائل من الشعب المسلم .

فى الماضى القريب نهضت هناك حركة دينية عظيمة فى شبه قارة الهند ، معروفة « بجماعة الدعوة و التبليغ » التى قادت جماهير من الناس على المستوى العالمى إلى ترسيخ جذور الايمان والعقيدة الاسلامية ، ومثلها الخلقية والروحية .

و الحقيقة أن هذه الحركة الاسلامية ، بنشاطاتها الدعوية و التبليغية - عبر أربعين عاماً - قد أحدثت ثورة عامة و انقلاباً عظيما فى تفكير كثير من الناس ، و صرفتهم إلى الاعتقاد بأن المثل العليا و النماذج الاسلامية الأولى أرفع و أسمى من كل نظام وفلسفة حياة ، إن العاملين فى هذه الحركة - مقتنعين بضرورات الحياة و حاجاتها الأصلية و صابرين على العيشة الخشنة و زاهدين فى المتعة و الراحة و الرخاء المادى - يكرسون أوقاتهم و فرصهم ، و يبذلون قواهم و جهودهم فى تبليغ الاسلام إلى الناس و دعوتهم إليه فى أسلوب ممتاز ، و طريقة فريدة . إن هذا العمل الجاد القوى الحيوى والمخلص قد أنشأ فى بحر اليأس و القنوط جزيرة الأمل و الرجاء ، وفى ظلمة الصحراء المادية شعاع النور و الضياء ،

ورغم أن مؤسس هذه الحركة الشيخ محمد إلياس (١٨٨٥ - ١٩٤٤) م لم يكن يطمح إلى هذه السعة والانتشار اللذين كسبتهما الجماعة ، بل كان يريد أن يحول أولئك المسلمين الغافلين اللاهين الذين كانوا لايبالون بالدين ، ولايهتمون بشعائره و كانوا يعيشون فى جهل و ضلال و غفلة إلى مسلمين أحسن حالا ، و أرسخ إيمانا ، فى نطاق محدود ، ولكن بعد أن خلفه أخلافه الأكفاء ، تجاوزت دعوته شبه قارة الهند إلى البلدان العربية و أفريقيا وأمريكا حتى إن

تأثيرها و نفوذها انتشرا فى العالم كله ، و أصبحت حركة عالمية .

إن الشيخ محمد إلياس كان نشأ و تربى فى جو دينى خالص ، مضت معظم أيام طفولته فى قرية « كاندهله » فى أحضان أجداده من أمه ، وأحيانا كان يقضى بعض الأيام فى « نظام الدين » مع أبيه الشيخ إسماعيل ، كان أبوه يقضى أوقاته - تمسكا بالسنة النبوية و عملا بها فى الذكر والعبادة ، كان يحب تلاوة القرآن ويشغف بها ، وكان من عاداته الحبيبة الأثيرة أن يتلو القرآن الحكيم وهو يرعى الغنم . كان يحتسب باعانة الفقراء و خدمة الضعفاء و العجزة عند الله - عز و جل - و يرى هذا العمل وسيلة التقرب و الزلفى إلى الله . كلما كان يرى أجيراً يحمل حملا تقدم إليه و أعانه فى وضع حمله ، و نزع الماء من البئر ليذهب ظمأه ، ثم كان يركع - بعد ذلك - ركعتين مخلصاً لله ، شكراً لما منحه هذه الفرصة الثمينة لخدمة خلقه وعياله . كان للشيخ إسماعيل ثلاثة أولاد ، ولدت زوجته الأولى محمداً الذى واصل عمل أبيه و مهمته فى تعليم الأطفال الفقراء من قرية « ميوات » على مقربة من دهلى . والابنان الآخران اللذان ولدتهما زوجته الثانية كانا « يحيى » و « إلياس » .

و قد كان جميع رجال و نساء هذه الأسرة يمتازون بالطهر والورع و التقى ، يقضون معظم الأوقات فى الذكر و الصلاة و التهجد فى الأسحار ، وتلاوة القرآن ، و المذاكرة العلمية ، و الأحاديث الدينية ، فكانت جدة الشيخ محمد إلياس من أمه « أمى بى » معروفة عند جيرانها فى ورعها و تقاها ، إنها كانت تذهل عن الطعام فى أواخر أيام حياتها - فرغم أنها كانت تسكن بين أسرة كثيرة الأفراد كجزء من العائلة المجتهدة المتشاغلة و لكنها لولم يذكرها أحد لقضت النهار كله من غير أن تتناول الغذاء ، و لما كان الناس يقولون لها عن

ذلك ، كانت تجيب : سبحان الله إنى أنال غذائى من التسبيح على خرزات هذه السبحة » . كانت أم الشيخ محمد إلياس موهوبة الذاكرة القوية الواعية ، إنها حفظت القرآن كله أيام رضاعة أخيه محمد يحيى ، قدر عشرة أجزاء كل يوم ، حتى إنها كانت تتلو القرآن الحكيم فى شهر رمضان و تختمه أربع ختمات كل يوم ، و لم يكن كل ذلك يخل شيئاً ما بأعمالها الرتيبة و وظائفها الأهلية ، بل إنها كانت أثناء تلاوتها للقرآن تعمل بيديها ما تشاء .

مثل جميع أطفال الأسرة قرأ « إلياس » الكتب الدراسية الابتدائية فى الكتاب التقليدى ، و كانت تحتوى أكثرها على حفظ القرآن الكريم الذى كان حفظه فى إبان الدراسة فى مدة قليلة ، اتباعاً - فى ذلك - التقليد الشائع فى أسرته التى كان كل فرد من أفرادها حافظاً للقرآن الكريم و كانت الأمهات و الآباء فى أسرته يقصون على أبنائهم قصص الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد و سراج الهند الشيخ عبد العزيز بن حكيم الاسلام ولى الله الدهلوى ، نشأ إلياس فى بيت حيث كانت أمه و خالاته و عماته يقصصن على الأطفال القصص الروحية التى تنفخ فى الأطفال روح الشجاعة و اتباع الحق ، وتقوى الله ، كانت جدته تحبه حباً جما ، و عند ما كان صغيراً ، كانت تجلسه على ركبتها و تقول إنها ترى تلك الوجوه النيرة مثل صحابة الرسول ﷺ حينما كانوا يسيرون معه .

هكذا شبت فيه العاطفة الاسلامية ، و تربى فيه التحمس للاسلام من نعومة أظفاره .

فى عام ١٨٩٤ م ذهب أخو إلياس محمد يحيى إلى كنكوه ، للدراسة باشراف العالم الربانى الشيخ رشيد أحمد ، وكان أبوه قد بلغ من انهماكه العميق

بالأذكار و الصلوات بحيث إن يحيى كان يشعر بأن « إلياس » لا ينال من العناية بالتعليم والاهتمام بالدراسة ما ينبغى أن ينال ، فانه طلب من أبيه الاذن و أخذه معه - بعد سنتين - إلى الشيخ الكنكوهى الذى كان أصبح - فى تلك الفترة - مأوى العلماء و مركز الشيوخ و ملجأ طلاب العلم ، و أصبح يحيى فى مدة قريبة مساعد الشيخ الكنكوهى و جعل يعلم أخاه الأصغر بنفسه ، و كان « يحيى » يحب إضافة إلى ما كان يدرسه هو ، أن يحمله إلى مجالس العلماء و مناقشاتهم العلمية حتى يتعود على الاقتباس و الأخذ و ينتفع بمشاهدة هذه المجالس والندوات العلمية فكلما كانت تعقد مثل هذه المجالس كان يحيى يلغى درسه و يعطل صفوفه ، حتى يتيسر « لالياس » صحبة هؤلاء العلماء والانتفاع بهم ، و قد أثرت هذه العشر السنوات التى كان قضاها فى صحبة الشيخ الكنكوهى - والتى كان لها أثر فعال فى تكوين « الياس » وتنشئته - على رقيه الروحى المقبل ، وفى إيجاد العاطفة الجياشة ، و التحمس القوى فى سبيل الاسلام و تحقيق أهدافه العليا ، و كانت وفاة الشيخ الكنكوهى عام ١٩٠٥ م حادثة فاجعة لالياس و خسارة كبيرة له .

فى عام ١٩٠٣ م ذهب « إلياس » إلى ديوبند للالتحاق بدار العلوم و الانسلاك فى طلابها باشراف شيخ الهند محمود الحسن ، و درس عليه الحديث ، و كان قد أخذ من الشيخ الجليل أشرف على التهانوى و تعلم منه ، كذلك كان أخوه الأكبر « يحيى » يوليه العناية البالغة ، و يهتم بشئونه أيما اهتمام ، و بما أن إلياس كان ضعيف البنية ، و يعانى من انحراف فى الصحة - دائماً - لذلك لم يكن يقوم بالرياضة البدنية إلا قليلا ، و كان يقضى أكثر أوقاته فى القراءة ، و المطالعة ، و العبادة ، أما يحيى فكان كثير العمل قوى

البنية ، و كان قد أنشأ مكتبة يبيع فيها الكتب ويكتسب منها قوتاً يكفى أهل بيته ، فكان مضطراً إلى أن يقوم بالأعمال الشاقة الكثيرة . فقال له مدير المكتبة - ذات يوم - منتقداً ، لماذا لا يساعدكم « إلياس » ولا يتحمل بعض المسؤليات و الأعمال فى المكتبة ، فاستشاط يحيى غضباً ، و لكنه كظم غيظه ، و اقتصر على ذكر هذا الحديث « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » (رواه البخارى) .

إنى أعتقد إنى لا أنال هذا القوت إلا ببركة هذا الطفل ، وينبغى أن لا تعود لمثل هذا الكلام .

فى عام ١٩١٢ م تزوج الياس بنت خاله ، و كان أخوه الأكبر محمد حاضراً حفلة الزواج التى ألقى فيها الشيخ أشرف على التهانوى خطبة النكاح و أكمل الاجراءات اللازمة .

و حج وزار عام ١٩١٥م مع صديقه الشيخ الجليل خليل أحمد ، و رجع العام التالى ١٩١٦م إلى الوطن و اشتغل بالتدريس فى المدرسة ، وفى نفس هذا العام وقعت المأساة ، فقد مات أخوه يحيى ، ثم بعد عامين توفى أخوه الأكبر محمد كذلك ، و قد دفنا فى « نظام الدين » ثم أصر أصدقاؤه و ذووه على أن يبقى فى نظام الدين ، ليباشر تلك الأعمال التى كان يقوم بها أبوه و إخوته ، و هكذا باشر إلياس جميع الأعمال وأدى كل مسؤلياته منكسر القلب حزين البال بفقد أبيه المشفق الحنون و أخيه العطوف ، على أحسن طريق ، وأفضل نهج ، و قد كان أخوه الأكبر محمد يعتبره كل من كان يعرفه مصداق الآية الكريمة ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » إنه كان رجلا دأبه الصمت يكتفى بكلمات لا يوذى أحداً ، ولا يتدخل فى مالا يعنيه ،

قضى حياة العزلة و الانابة إلى الله ، و داوم على تحميد الله و تسبيحه صباح مساء ، لا ينى ولا يفتر ، كان يسكن فى غرفة أبيه عند مسجد « نظام الدين » يلقن الأطفال من « ميوات » التعليم البدائى ، لم تفته صلاة التهجد ستين عاماً كاملا ، و قد انتقل إلى رحمة الله - عز و جل - و كان ساجداً فى صلاة الوتر قبل أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

كانت المدرسة تتألف من عدة طلاب من « ميوات » ولم يكن للمدرسة دخل منظم خاص ، و كان الطلاب يمكثون فى المدرسة مع قليل من الطعام حتى إنهم كادوا يتحملون الجوع و البيات على الطوى ، ولكن لم يجد اليأس إلى قلب « إلياس » سبيلا و هو فى هذه الظروف الشديدة و الضنك من العيش بل - بالعكس من ذلك - لم يزل ينبه الطلاب على الزهد فى المتعة و الراحة والبعد عن حياة الدعة و الهناء ، و لما حج الشيخ إلياس لمرة ثانية عام ١٩٢٦ م مع الشيخ خليل أحمد ، زاد قلقه واضطرابه و عدم ارتياحه إلى ذلك العمل الذى كان يقوم به من التدريس فى مدرسته واقتنع أخيراً ، بأن هذا النوع من العمل الفردى لا يستطيع أن ينشئ نهضة روحية و يقظة دينية فى الناس ، إنه رأى أن المدارس لا تقدر على أن تغمض عينها وتظل فى عزلة عما حولها من البيئات و الظروف غير الدينية التى لا بد للمدرسة من أن تقوم بنشاطاتها وأعمالها فى خضمها و بين سمعها و بصرها ، فكان لا يستطيع أن يلقن التربية الدينية الجامعة الشاملة لجميع الأطفال ، و حتى أولئك التلاميذ الذين ربتهم المدرسة و هذبتهم ثم خاضوا فى ظلمة الجهل و الغفلة عن الدين التى كانت تحيط بهم وتأخذهم من جوانبهم ، كانوا ينسون أنفسهم ولا يؤثرون فى مجتمعهم أى تأثير ثم إنه كان يواجه مشكلة لاقناع الآباء وإشعارهم بالحاجة الشديدة إلى أن يبعثوا بأبنائهم إلى مدرسته ، لأنهم لم يكونوا يعرفون

قدر ذلك العلم الذى يحرزه أبناؤهم و لا يقدرونه و يحترمونه ، و كان من نتيجة ذلك أن حياة الآباء والمسؤلين عن الأطفال لم تتأثر ، و لم تتغير حياتهم شيئا ، و من ثم أحس الشيخ إلياس ، بالفشل و الخيبة فى أعماله المدرسية إذ أنها لم تكن تترك تأثيراً عميقاً فى الأطفال و البيوتات التى ينتمون إليها ، لا سيما عند ما جاء إليه شاب صالح كان قد أكمل دراسته للقرآن الكريم فى مدرسة من مدارسه فى « ميوات » كان الشاب يحلق اللحية ، و يلبس اللباس الأوربى الخالص ، أحزن الشيخ محمد الياس هذا المنظر ودفعه إلى أن يكتشف أن المدرسة لا تملك إلا هذا التأثير الضعيف الذى لم يستطع أن يطبع الطالب بطابعها حتى فى هيئته الجسمية ، و شكله الظاهر .

هنالك عقد الشيخ إلياس العزيمة على أن يقوم بجولات دعوية وتبليغية فى المناطق و القرى المجاورة ، و لما كان ذلك يضطره إلى الأسفار الشاقة أقلقته صحته المنحرفة ، و أحس بأنه لا يحتمل تلك القدرة التى يستطيع بها أن يقوم وحده بكل هذه الجولات المضنية و الأسفار المتعبة ، حتى أقنعه و طمأنه أصدقاؤه و أصحابه على أن الله سبحانه و تعالى سيكفل بمهمته و لا يضيع جهوده ، و لا يحول دون عمله طاقته الجسمية المحدودة و لا حاجة إلى أن يؤدى هو جميع الأعمال منفرداً .

و بعد أن قضى خمسة شهور فى بلدى مكة و المدينة المقدسين عاد إلى الهند بإيمان أرسخ و اقتناع أقوى بأنه لا بد أن يبدأ نشاطه الدعوى ، وعمله التبليغى فى عمال وأجراء « ميوات » و فلاحيها البسطاء الساذجين الذين يعانون من الجهل والفقر و أنواع المنكرات .

لقد كان الميواتيون فلاحين يسكنون فى القرى المتخلفة الفقيرة وتسودهم

الأمية ، إنهم كانوا اختاروا كثيراً من طقوس الهنادك و تقاليدهم و عاداتهم و اندمجوا فيها إلى حد أنهم لم يبقوا مسلمين إلا اسماً و رسماً ، فرأى الشيخ إلياس ، أن إنعاش هؤلاء و إنهاضهم روحياً و خلقياً ، هو الهدف الأول المنشود لحركته هذه ، واحتذى حذو مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى فى استقامته و ثباته على التمسك بالسنة النبوية ، والتشبث بأهدابها ، وسار على نهج حكيم الاسلام ولى الله الدهلوى فى صبره ومثابرته ، و اعتداله و اتزانه ، و الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد فى عزيمته ، وصبره واحتماله ، لا يبالى بأن يضحى بالحياة الفردية فى صالح الحياة الجماعية ، و كان أثناء جولاته هذه فى « ميوات » يشتغل بالفصل بين الخصوم ، والقضاء على النزاعات و إصلاح ذات البين ، و كان الناس يحترمونه و يجلونه غاية الاحترام حتى إن المعاندين المعاكسين كانوا يرضون بحكمه فى القضية و فصله بين الخصوم .

و لو أن الشيخ إلياس كان ينتسب إلى الطريقة الجشتية و لكنه لم يبشر قط بصوفيته ، و لم يقم بعمله الدعوى كصوفى ، و لم يلج يوماً - من الأيام - فى نزاع طائفى ، و لم يتعصب لطائفة دون طائفة ، بل استهدف - دائماً - دعوة الناس إلى أسس العقيدة و الشريعة الاسلامية و مبادئها الأولية ، إنه كان يشدد النكير على كل عمل يصدر مخالفاً للشريعة ، ويعارض كل ما ينافى الشريعة من علم و عمل بشدة و صراحة قوية ، إلا أن سلوكه مع أولئك الذين لا يتبعونه فى نظرته و عمله كان سلوك الرفيق الحكيم المتزن ، إنه لم يلجأ قط إلى الكلمات اللاذعة و القول الفظ فى مجابهة المتحللين والغافلين و المعرضين عن طاعة الله و رسوله ، بل كان يسعى لترغيبهم و استمالتهم بأسلوب جميل كريم ، سائراً على الطريقة الجشتية و المنهج الجشتى ، لم

يبذل جهوده فى عطف أتباع الديانات الأخرى إلى الاسلام ولا عارض الهندكية و المسيحية ، ولم يشتغل بالرد عليهما و إبطالهما ، و لكن إذا جاءه غير مسلم يبدى رغبته فى الاسلام فكان يستقبله و يحتفى به غاية الاحتفاء ، إلا أن مهمته لم تكن موجهة إلى صرف غير المسلمين عن دياناتهم و معتقداتهم ، بل كان وصل – بعد ترو و تفكير – إلى أن يقصر مهمته على تحويل المسلمين الضعفاء فى إيمانهم و عقيدتهم و المسترخين فى أعمالهم و عباداتهم أو الغافلين عنها تماماً ، إلى مسلمين أقوياء فى الايمان و العقيدة ، و جادين محتسبين فى أعمالهم و عباداتهم و كان قد ركز عنايته و اهتمامه على الطبقات الفقيرة الكادحة من عامة الناس .

على عكس طريقة الصوفية المتداولة للتربية الروحية و تزكية النفس و تحليها بالفضائل عن طريق إقامة رباطات و زوايا خاصة يؤمها الطالبون و مرضى القلوب ، كان الشيخ إلياس و أصحابه العاملون يترددون إلى بيوت الناس ، ويذهبون إليهم بأنفسهم يدعونهم إلى أن ينضموا إلى حركته الاسلامية بالحضور فى الحفلات المنظمة ، و بالمساهمة – عملياً – فى اتباع ذلك المنهج الذى يؤكد – علاوة على الأشياء الأخرى – على هذه الأسس التالية .

١ – الايمان والعقيدة ، ٢ – العبادة ، ٣ – العلم و الذكر .

٤ – احترام جميع الاخوة المؤمنين والتخلق بالأخلاق السمحة الحسنة .

٥ – الاخلاص فى العمل ، بحيث لا يبتغى بالأعمال الأغراض الدنيوية و المصالح العاجلة ، بل يبتغى مرضاة الله و يستعد ليوم الآخرة .

٦ – ترك ما لا يعنى ، واجتناب الكلام الفارغ ، و البعد عن العبث والأمور التافهة ، ٧ – التبرع بالوقت .

« يتبع »

الفقه الإسلامي

الحدود الشرعية و أثرها

فى تحقيق الأمن و الاستقرار للمجتمع

سعيد الأعظمى الندوى

الحدود : فى مصطلح الشريعة لها معنيان : المعنى الأول هو العقوبة المقدرة من الله سبحانه وتعالى حقاً له من غير أن يجرى فيها أى تغيير وتبديل ، و هى منصوصة فى الكتاب و السنة و مشروحة فى كتب الفقه الاسلامى بتفاصيلها ، و نتناولها الآن بايجاز .

و المعنى الثانى أن يراد بها أحكام الطاعة والمعصية ، والشرائع والحقوق و الواجبات ، و فيه أيضاً منع عن الخروج من حدود طاعة الله أو منع عن الدخول فى حدود المعصية (١) .

أما الحدود بالمعنى الأول أى العقوبة المقدرة حقاً لله تعالى بحيث إنها من تقدير الشارع فلا تقبل أى تغيير أو نقص أو زيادة و ليس لها حد أدنى أو أعلى ، كما أنها خارجة عن نطاق الامتيازات البشرية و غنية عن كل تعديل أو تحوير و هى تنفذ كلما وجدت جرائم من نوعها صيانة للمصلحة العامة و دفعاً عن الفساد التى يحيط بها ، « و كل جريمة يرجع فسادها إلى العامة وتعود منفعة عقوبتها عليهم تعتبر العقوبة المقررة عليها حقاً لله تعالى تأكيداً لتحصيل المنفعة و تحقيقاً لدفع الفساد و المضرة ، إذ اعتبار العقوبة حقاً لله تعالى يؤدى إلى عدم إسقاط العقوبة باسقاط الأفراد أو الجماعة لها » (٢) .

(١) وقد تحدثنا عن هذا المعنى بتفصيل فى مقال سبق نشره فى العدد الثانى المجلد ٢١ ، شوال ١٣٩٦هـ (أكتوبر ١٩٧٦م)

(٢) التشريع الجنائى الاسلامى ، عبد القادر عودة ج ١ ص ٧٩

فالجرائم التى فيها اعتداء على حق الله خالصاً مما يتعلق بحرمة الدين أو النسب والعرض و الأمن العام ، هى جرائم الحدود التى لا عبرة فيها بالعفو أو الشفاعة كما جاء فى حديث المرأة المخزومية التى سرقت فى عهد النبى ﷺ فى غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، فقالوا : و من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال له أسامة : استغفر لى يا رسول الله الخ (١) .

و جاء فى فتح القدير ، « وفى الشرع قال المصنف هو (أى الحد) العقوبة المقدرة حقاً لله تعالى فلا يسمى القصاص حداً لأنه حق العبد ، و لا التعزير لعدم التقدير على ما عليه عامة المشايخ ، و هذا لأن المقدر نوع وهو التعزير بالضرب ، لكنه لا ينحصر فى الضرب بل يكون بغيره من حبس وعرك أذن وغيره على ما سيأتى إن شاء الله تعالى وهذا الاصطلاح هو المشهور (٢) .

و بما أن عقوبات الحدود تكون رادعة لصاحبها و لغيره من اقتراف جرائم مثلها و تضع حداً على الجانى و على غيره من ارتكاب الجناية يحسن تسميتها بالحدود ، بمعنى العقوبات المقدرة من الشارع ، و تطلق على الجرائم التى تترتب عليها عقوبات الحدود مجازاً .

يقول الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

« و سميت عقوبة الزنا و نحوه حداً لكونها تمنعه المعاودة أو لكونها مقدرة من الشارع و للاشارة إلى المنع سمى البواب حداداً (٣) .

(١) صحيح مسلم باب النهى عن الشفاعة فى الحدود .

(٢) فتح القدير لابن همام ، كتاب الحدود ج ٢ ص ٥٦٥ (طبعة هندية قديمة) .

(٣) فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ١٢ ص ٤٩ .

و جاء فى نيل الأوطار للشوكانى :

الحد لغة المنع و منه سمى البواب حداداً ، و سميت عقوبات المعاصى حدوداً لأنها تمنع العاصى من العود إلى تلك المعصية التى حد لأجلها فى الغالب ، وفى الشرع عقوبة مقدرة لأجل حق الله فيخرج التعزير لعدم تقديره والقصاص لأنه حق لآدمى (١) .

و جاء فى فتح القدير لابن همام :

« وقال بعض المشايخ إنها (أى الحدود) موانع قبل الفعل ، زواجر بعده ، العلم بشرعيتها يمنع الاقدام على الفعل وإيقاعها بعده يمنع من العود إليه (٢) .

و تشكل الحدود سبع جنايات و هى التى تنفذ فيها العقوبات كحق الله تعالى و ليس لولى الأمر أو رئيس الدولة أن يقوم فيها بأى نقص أو زيادة فضلا عن العفو وهذه العقوبات تسمى الحدود وهى منصوصة فى الكتاب والسنة .

وقال العلامة بدر الدين العينى حيث يشرح كتاب الحدود فى « عمدة القارى »

« و فى الشرع ، الحد عقوبة مقدرة لله تعالى ، و إنما جمعه لاشتماله على أنواع و هى حد الزنا و حد القذف و حد الشرب و المذكور فيه حد الزنا و الخمر و السرقة (٣) .

و لذلك لا يسمى القصاص حداً لأنه ليس حقاً لله بل هو حق للعبد وكذلك التعزير لا يدخل فى نطاق الحدود لأنه ليس عقوبة مقدرة بل يتوقف على رأى الامام وله الحق فى النقص و الزيادة حسب ظروف الجناية والجانى

(١) نيل الأوطار للشوكانى . ج ٧ ص ٣

(٢) فتح القدير لابن همام كتاب الحدود ج ٢ ص ٥٦٥ (طبعة هندية)

(٣) عمدة القارى للعينى ج ١١ ص ٦٢٣

أما فى جرائم القصاص فالعفو جائز من المجنى عليه أو وليه ، و ليس للامام أو رئيس الدولة أن يعفو عن العقوبة فى القصاص ، إلا أن يجعله المجنى عليه ولياً له عند فقدان وليه فانه يستطيع أن يعفو عنها بصفته ولياً للمجنى عليه و لكن هذا العفو لا يكون مجاناً » .

و جاء فى « إغاثة اللهفان » للامام ابن قيم الجوزية :

« الأحكام نوعان ، نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها ، لا بحسب الأزمنة و لا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات و الحدود المقدرة بالشرع على الجرائم و نحو ذلك ، و النوع الثانى ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً أو مكاناً أو كمقادير التعزيرات و أجناسها و صفاتها فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة (١) .

أما الجنايات السبع التى تنفذ فيها الحدود فهى كما يلى :

(١) الزناء . (٢) القذف . (٣) شرب الخمر . (٤) السرقة .

(٥) الحرابة . (٦) الردة . (٧) البغى .

و هذه الجنايات السبع التى يعاقب عليها الجانى بالحد مصدرها الكتاب و السنة و إليكم الآن بيانها بشئ من الايضاح .

١ـ الزنا : الحد الذى يقام على جريمة الزنا يختلف باختلاف نوعية الزنا والزانى كليهما فان ثبت الزنا بالبينة ، وهى أن تشهد أربعة من الشهود على رجل و امرأة لقوله تعالى : « فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » وبالاقرار وهو أن يقر بازناء على نفسه أربع مرات فى أربعة مجالس بشرط أن يكون مسلماً عاقلا بالغاً فان ثبت الزنا بالبينة و الاقرار يقام على الزانى حده بالتفصيل الآتى .

(١) إغاثة اللهفان ج ١ ص ٣٤٦ .

(الف) الجلد على الزانى غير المحصن بدليل قوله تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة و لا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ، و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (١) .

مع اختلاف الفقهاء فى تغريب الزانى غير المحصن بعد الجلد لمدة عام لقوله ﷺ « خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر » الثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة و البكر جلد مائة ثم نفى سنة (٢) ولكن الحنفية يرون أن الحديث منسوخ ويعتبرون التغريب تعزيراً لا حداً ، ولكنه واجب على الرجل دون المرأة عند مالك ، أما الشافعى و أحمد فيريان أن التغريب حد واجب على كل زان غير محصن مع مأة جلدة .

(ب) الرجم على الزانى المحصن سواء كان رجلا أو امرأة ، و الرجم : الرمى بالحجارة حتى الموت ، و الدليل على ذلك حديث الرسول ﷺ الذى أمر فيه برجم ماعز و الغامدية ، و حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث ، الثيب الزانى و النفس بالنفس ، و التارك لدينه المفارق للجماعة » (٣) و قد أجمع عليه الصحابة و التابعون و من بعدهم من الأئمة الأعلام . و أما إنكار الخوارج عقوبة الرجم ، فلا يستند إلى دليل .

و مسألة الزنا ذات فروع متعددة الجوانب و لكل جانب نصيب من الحكم يخصه كعقوبة العبد و الأمة ، إذا كانا متزوجين ، و إذا لم يكونا متزوجين ، و من الذى يقيم عليهما العقوبة المولى أو الامام ؟ و كذلك اللواط و إتيان

(١) سورة النور الآية : ٢ . (٢) صحيح مسلم كتاب الحدود و الحديث عن عبادة بن الصامت .
(٣) رواه الشيخان .

البهائم ، و المساحقة ، و قد استدل العلماء على المساحقة و اللواط بقوله تعالى « و اللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، و اللذان يأتيانها منكم فآذوهما » (١) .

قال ابن حجر : الآية الأولى فى السحاقات ، و الثانية فى اللواطين ، و التى فى سورة النور فى الزانى و الزانية و هو دليل ظاهر لأبى حنيفة رحمه الله ، فى أنه يعزر فى اللواطة و لا يحد ، و قال مجاهد : آية الأذى فى اللواطة » (٢) .

و اللواط من أخوف المخاوف الذى إذا انتشر فى قوم يهدم بنيان مجدهم و يأتى عليهم من فوقهم و من تحت أرجلهم ويشوه تاريخهم ولا يتركهم جديرين بأداء واجب الانسانية و حمل عبء الأخلاق ، ولذلك فقد قرر العلماء عقوبات شديدة يؤخذ بها اللوطى ، و لا يسمح له بأى حال أن يرفع رأسه ما لم يتب توبة نصوحاً ،

و قد رأى العالم المتحضر من آثار الفساد و انتشار الأدواء الخلقية فى أمة وجد إليها اللواط والزنا سبيلا ، إنها لم تتمكن من الابقاء على معالم حضارتها وأخلاقها ، ولا من رفع القوة المعنوية التى لا يتم بناء صرح الانسانية بغيرها ، و قد أنكر النبى ﷺ هذه العملية أشد الانكار فقال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل و المفعول » (٣) .

٢ - القذف : قد يبعث دافع الحسد و الانتقام صاحبه على الافتراء ، فيرمى من يعاديه ويحسده ، بتهمة الزنا ، فان كانت التهمة تمت إلى الحقيقة بالصلة

(١) سورة النساء ، الآية ١٥ - ١٦ . (٢) تفسير النسفى ج ١ / ص ١٦٧ . (٣) رواه أبوداؤد

فلا يعتبر ذلك جريمة و لا يعاقب عليها المرء ، كما لا يسمى ذلك قذفاً ، أما إذا كانت التهمة باطلة و مختلقة تعتبر خرقاً للكرامة و اعتداء على العرض ، و يقام على القاذف ، حد القذف بدليل قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » (١) و قوله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم » (٢)

والحد الذى يقام على القاذف هو الجلد ثمانون سوطاً ، ثم يعتبر مردود الشهادة للابد كما هو رأى الأحناف بناء على ما فى الآية الأولى من الأمر بعدم قبول شهادته مطلقاً ، أما الاستثناء فى قوله « إلا الذين تابوا » فانه يرجع إلى الفسق ، أما مالك والشافعى و أحمد فانهم يقولون بقبول شهادته إذا تاب توبة نصوحاً و ندم على فعلته ، و على كل فان الشريعة الاسلامية تعاقب القاذف بالعقوبة البدنية و النفسية جزاء على ما عامل أخاه المقذوف من تناوله بايذاء نفسى شديد .

٣ ـ شرب الخمر : ورد تحريم شرب الخمر فى الكتاب حيث قال الله تعالى « إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » (٣) و الخمر كل مشروب يخالط العقل و يغيره عن نظامه المعتاد ، فان شرب مسلم عاقل حر خمراً و ثبت ذلك بوجود رائحة الخمر فى فمه أو باقرار منه أوبشهادة ، يقام عليه الحد و هو ثمانون جلدة عند أبى حنيفة ومالك و أحمد فى رواية ، وعند الشافعى أربعون جلدة ، ولكن الاجماع على الثمانين ،

(١) سورة النور الآية ٤،٥ (٢) سورة النور الآية ٢٢ . (٣) سورة المائدة الآية ٩ .

وقد جاء فى الموطا أن عمر رضى الله عنه استشار فى الخمر يشربها الرجل فقال له على بن أبى طالب نرى أن تجلده ثمانين فانه إذا شرب سكر ، و إذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى و على المفترى ثمانون فجلد عمر فى الخمر ثمانين (١) و أخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن الشربة كانوا يضربون على عهد رسول الله ﷺ بالأيدى والنعال والعصا حتى توفى ، فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى توفى إلى أن قال عمر ماذا ترون فقال على ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ إذا شرب الخمر هذى و إذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون جلدة فأمر عمر ـ رضى الله عنه ـ فجلد ثمانين (٢) .

و عند ما يشرب الشارب الخمر فانه لا يشربها إلا لكى يتهرب من دنيا العمل و الجد إلى دنيا الأوهام و الأحلام الكاذبة و يتناسى الهموم و الآلام لفترة من الوقت ، فيتغافل عن وظيفته فى الحياة و تجر نفسه إلى التصرفات غير المشروعة من ضرب و إهانة و قذف و زنا وما إلى ذلك ، فكان لابد من الحد عليها ، و كف الناس عن جريمة تؤدى إلى كثير من الجرائم بوضع عقوبة رادعة عن ذلك ، وهى ثمانون جلدة .

و قد أدركت كثير من دول العالم اليوم ما تحمله الخمر من سوءات و ما تجر إليه من فساد شامل يهدم حياة الأمة فرادى و جماعات ، و يصد عن التقدم فى مضمار الحياة ، فبدأت تقوم بدعايات لتحريم الخمر و تضع عليها حداً ، و لكنها لا تنجح فى هذه الخطة إلا قليلا ، و ذلك لأن الحد الذى قرره الاسلام على شارب الخمر هو أكبر دعاية ناجحة لمنع انتشار الخمر ونهاية اتجاه السكر فى المجتمع ، فليت هذه الدول أدركت قيمة هذه العقوبة أيضاً

(١) رواه الموطا ص ٣٥٧ . (٢) رواه الحاكم فى المستدرك ج ٤ ص ٣٧٦ .

و استعارتها من الاسلام .

٤ ـ السرقة : إذا توفرت فى السارق شروط السرقة تقطع يده اليمنى فان عاد تقطع رجله اليسرى فان عاد يودع فى السجن حتى يتوب ، و قال الشافعى رحمه الله ، فى الثالث تقطع يده اليسرى وفى الرابعة تقطع رجله اليمنى ، ويستدل بقوله ـ ﷺ ـ « من سرق فاقطعوه ، ثم إن عاد فاقطعوه ، ثم إن عاد فاقطعوه ثم إن عاد فاقطعوه » و الدليل على القطع فى الكتاب قوله تعالى « السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم » (١) .

و لا بد من أن يكون السارق عاقلا بالغاً ، و قد اختلف الأئمة فى تعيين مقدار المال المسروق الذى يقام من أجله الحد على السارق فقال الحنفية وجماعة من التابعين : إنه عشرة دراهم أو ما يساويها و ذهب الشافعى إلى أنه ربع دينار ، و ذهب مالك و أحمد إلى أنه ربع دينار أو ثلاثة دراهم أو قيمتها لما رواه مالك فى موطأه أن سارقاً سرق فى زمن عثمان ـ رضى الله عنه ـ أترجة فأمر بها عثمان فقومت بثلاثة دراهم من صرف إثنا عشر بدينار فقطع عثمان يده ، و قال الشافعى : ربع دينار أو قيمته من الدراهم ، وكانت قيمة الدينار على عهد رسول الله ﷺ إثنى عشر درهما ، فثلاثة دراهم ربع دينار و دليله ما جاء فى مسند أحمد عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ : « اقطعوا فى ربع دينار و لا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك »

و الشريعة الاسلامية حينما تقرر حد القطع للسارق فانها إنما تدرس الموضوع من عمقه و تحلل نفسية السرقة تحليلا دقيقاً ، ثم تنظر إلى القضية

(١) سورة المائدة الآية : ٣٨ .

بمنظار المراعاة العامة لمصالح الجماعة ، فان السارق معتد فى الحقيقة على حرية التصرف الطبيعى الذى يملكه كل إنسان فيما اكتسبه من مال ، إنه يعتدى على مال غيره الذى تعب فى كسبه و أضنى نفسه فى الحصول عليه ، والذى كسبه بعرق الجبين و كد اليمين و بذل له من نفسه و وقته مقداراً كبيراً و لكن السارق يريد أن يملك ماله من غير جهد و كد و يحول الحلال الطيب إلى حرام خبيث ، ومن هنا فالسارق لا يعتدى على كرامة الفرد و مصلحة الجماعة فحسب بل إنه يغير الطيب الحلال إلى الخبيث الحرام و يستهين قيمة العمل و الاجتهاد و يتدخل فى مقررات الشريعة و لا يريد إلا أن يتعب غيره فى كسب الرزق ويكافح فى ميدان المعاش ، ثم هو الآخر يتمتع بمكاسبه من غير تعب و لا عمل ولا جد و اجتهاد .

هذه النفسية الخبيثة إذا عمت فى المجتمع تدكه دكا ، و تأتى على جميع فرص العمل و الجد و تعطل قضية السعى فى ابتغاء الرزق لبناء المجتمع الأفضل الذى يشتغل كل فرد فيه بعمله و واجبه ، و يضمن بذلك سعادة الجميع ، إن السرقة تهدم أساس السعادة الطبيعية الذى يقوم على الجد و العمل ، وتغاير ما أمر الله به من ضرب فى الأرض لابتغاء فضل الله ، فى قوله تعالى « وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله » (سورة المزمل الآية ٢٠) وتغاير ما وعد الله به من جزاء الأعمال فى قوله « ليس للانسان إلا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » (سورة النجم الآية ٤٠،٤١) .

فلما كانت السرقة دعوة إلى هدم المصالح العامة ، و تدميراً لنفسية العمل و الاجتهاد الذى تقوم عليه المجتمعات الانسانية و تسعى عن طريقه إلى السعادة و الرفاهية جعلت عقوبتها كذلك القطع ، حفاظاً على مصلحة الجماعة ورحمة على

السارق و إلغاء على نظام الاقتصاد الذى هو العمود الفقرى فى جسم أى أمة تريد أن ترفع صرح عظمتها و تحرز الاكتفاء الذاتى فى جميع مراحل حياتها .

و كل مجتمع قام بتنفيذ حد السرقة بالقطع سقطت فيه نسبة السرقة إلى درجة الصفر ، أو ما يقاربها و ساد فيـه الأمن على الأرواح و الأموال ، و حسبنا كمثال فى عصرنا الحاضر المملكة العربية السعودية التى تولت قطع يد السارق فى قضايا السرقة فانتهت فيها جرائم السرقة بوجه عام و أمن الناس فى أموالهم وتجاراتهم ، فالزائر لهذه المملكة يرى أن الناس لا يحتاجون إلى الاهتمام باقفال البيوت و المتاجر و كثيراً ما يرى أن المحلات التجارية مكشوفة و البيوت غير مقفلة حتى فى الليل أيضاً .

فالذين يعترضون على الاسلام و يتهمونه بالوحشية و القسوة فى حد السرقة إنما هم مخدوعون بالظاهر ، وليس لهم نظرة متعمقة إلى جذور القضية و نفسية الموضوع ، يقول العالم الشهيد الأستاذ عبد القادر عودة .

« إن القانون (الوضعى) أيها السادة الرحماء يوجب الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة فى جرائم السرقة ، و يوجب الحكم بالأشغال الشاقة المؤقتة فى بعض آخر ، فكيف ترضى قلوبكم الرحيمة أن يوضع المحكوم عليه فى السجن كما يوضع الحيوان فى قفصه أو الميت فى قبره طول هذه المدة محروماً من حريته بعيداً عن أهله و ذوية ، و أيهما أقسى ؟ قطع يد المحكوم عليه و تركه بعد ذلك يتمتع بحريته و يعيش بين أهله و ولده ، أم حبسه على هذا الوجه الذى يسلبه حريته و كرامته و إنسانية و رجولته ، و القانون أخيراً أيها الرحماء يبيح عقوبة الاعدام و هى تودى إلى إزهاق الروح و فناء الجسد ، أما عقوبة القطع فهى تودى إلى فناء جزء من الجسد فقط ، فمن رضى بعقوبة الاعدام

وأنتم بها راضون وجب أن يرضى بعقوبة القطع لأنها جزء من كل ، ومن لم يستفظع عقوبة الاعدام فليس له أن يستفظع عقوبة القطع بأى حال (التشريع الجنائى الاسلامى المجلد الأول ص ٦٥٠)

٥- الحرابة أو (قطع الطريق) : و معنى ذلك قطع الطريق للتغلب على المال و المتاع أو التخويف والارهاب ، أو للقتل فقط أو لأخذ المال والقتل ، و قد فرضت الشريعة الاسلامية على جريمة الحرابة أربع عقوبات حسب حال المحارب أو قاطع الطريق ، فاما القتل فقط ، أو القتل مع الصلب ، أو القطع من خلاف فقط أو النفى فقط ، كل هذه الأحكام ثابتة من الكتاب والسنة و إجماع الأمة فقال الله تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض (سورة المائدة الآية ٣٢)

فأما عقوبة القتل فتنفذ فى قاطع الطريق إذا قتل و لم يأخذ المال و هى حد لا قصاص فلا تسقط بعفو أو شفقة أو عطف و هذا هو مذهب الجمهور عليه العمل .

وأما القتل مع الصلب فحد ينفذ فى قاطع الطريق الذى يقتل ويأخذ المال و هو بذلك يجمع بين القتل و السرقة فتفرض عليه العقوبتان معاً و لاخلاف فى ذلك ، إنما الخلاف فى تقديم الصلب على القتل أو القتل على الصلب ، فبعض العلماء يرون أن الصلب يقدم على القتل كما أن البعض الآخر يقدمون القتل على الصلب نظراً لما فى الآية من تقديم القتل على الصلب .

وأما القطع من خلاف فالمراد به قطع يد الجانى اليمنى ورجله اليسرى

مرة واحدة وعقوبة النفي تنفذ في قاطع الطريق الذي يكتفي بالتخويف والارهاب و لا يأخذ المال، و اختلف العلماء في هذه العقوبة هل هي حد أو تخويف، فيقول الامام أبوحنيفة وأحمد أنها حد على أساس قوله تعالى « أو ينفوا من الأرض » و قال الشافعي و جماعة من العلماء: أنها تعزير.

و الشريعة الاسلامية عندما وضعت هذه العقوبات الأربع على جريمة الحرابة تحرت الدقة في التوفيق بين هذه العقوبات و نفسية المحارب الذي يستخدم جميع إمكانياته في سلب الأمن و العافية من البلاد و العباد و القضاء على سلامة الأرواح و الأموال، وبذلك ينقلب سبعاً ضارياً لا يرق ولا يرحم في الافتراس، فلابد من أن يعاقب بما يؤول إلى استتباب الأمن والهدوء في المجتمع و ذهاب الخوف والفزع من القلوب، سواء عن طريق القتل والصلب أو النفي أو القطع، و قد اقتبست القوانين الوضعية من هذه العقوبات شيئاً كثيراً لقطاع الطريق و أمثالهم.

٦ - الردة: معنى الردة أن يرتد المسلم عن دينه و يخرج عليه.

و عقوبة الردة القتل في الشريعة الاسلامية و الأصل في ذلك قوله تعالى « و من يرتد منكم عن دينه فيمت و هو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا و الآخرة و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (سورة البقرة الآية ٢١٧) وقول النبي ﷺ من بدل دينه فاقتلوه، وبناء على ذلك يرى الجمهور من العلماء أن يقتل المرتد والمرتدة، ولكن الحنفية يخصون هذا الحكم بالذكور وأما جمهور الفقهاء فانهم يختلفون في أمر استتابة المرتد قبل القتل فمنهم من يوجب الاستتابة أولا، فان لم يتب يقتل، و ذهب الحسن وطاؤس

و أهل الظاهر و كثير غيرهم إلى القتل في الحال، و يرى النخعي أن المرتد يستتاب على كل حال و القول الراجح في مدة الاستتابة ثلاثة أيام.

و بما أن الردة تعني إعلان المرء حرباً ضد الدين الاسلامي الذي هو الأساس الأصيل للحياة و عليه يقوم صرح النظام و الحكم، قررت الشريعة الاسلامية أقسى عقوبة عليها استئصالا للفتنة و صيانة للعقيدة، و حفاظاً على النظام، و لذلك فان القانون الاسلامي لا يسمح أيضاً بترك مال المرتد بل يصادره لكيلا يبقى عوناً على محاربة الدين في يد أنصاره و أقربائه أو ذريعة إلى فتنة أخرى.

٧ - البغي: و معناه الخروج على الامام، و مخالفة النظام الاسلامي.

و الشريعة الاسلامية تعاقب على البغي بالقتل قال الله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله (سورة الحجرات الآية ٩).

وجاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ! قال: قال رسول الله ﷺ من بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر (رواه مسلم) (١) وكذلك مارواه عرفجة أن رسول الله ﷺ قال: ستكون هنات وهنات ألا ومن خرج على أمتي وهم جمع فاضربوا بالسيف عنقه كائناً من كان (٢) وقال النبي ﷺ ! من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه (٣)

(١) مشكوة المصابيح كتاب الامارة ص - ٣٢٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب فيمن فرق أمر الأمة و هي جميع.
(٣) صحيح مسلم كتاب الامارة باب حكم من فرق أمر المسلمين والمجتمع.

فاذا ثبت خروج جماعة على الامام و كان ذلك بالمغالبة و وجود المنعة و الشوكة لدى البغاة يعاقبون بالقتل و لكن يجب أن يسبق القتل مفاوضة أو مراسلة من الامام و دعوتهم إلى الدخول فى طاعته فان قبلوا وإلا فينفذ فيهم الحد لقيام الحجة عليهم .

و لم توجد دولة من دول العالم إلا و قد فرضت أشد العقوبات على البغاة والمتآمرين على سلامة الحكم و البلاد ، ألا هو الحكم بالاعدام .

أيها السادة ! هذه إشارات خاطفة عن جنايات الحدود السبع وهى عقوبات مقدرة كحق لله تعالى لايتناولها أى إنسان باى تغير أو تحوير وليس له أى حرية للتصرف فيها لأنها حدود الله تعالى التى وضعها كأداة لتزكية الحياة و تطهير المجتمع من أسباب الشقاء و الخوف مع توفير وجوه السعادة والطمأنينة و الأمن والسلام .

فلنتصور مجتمعاً مادياً يتمتع بأسباب الرفاهية ووسائل الراحة والرخاء مثلا و لكنه يفقد الأمن و السلامة ، و لايأمن فيه المرء الاعتداء على الأرواح و الأموال والأعراض فهل يعتبر ذلك مجتمعاً سعيداً يتكفل لأفراده العيش فى ظل العدالة و السعادة و الاتزان ؟ أم مجتمعاً جائراً عن طريق الحق و الاعتدال و حائداً عن جادة السعادة و الرفاهية ؟ بل المجتمع الاسلامى هو الذى يقوم على أساس متين من العلم والعدل والنصفة ويراعى جميع حقوق الحياة فردية و اجتماعية و علاقات الانسان مع الانسان و علاقاته مع الله بجميع ألوانها و أشكالها .

و للحدود دور كبير فى الحفاظ على سلامة النظام وصالح الاجتماع

وتوجيه الهدوء إلى حياة الانسان لأن جرائم الحدود لها خطورة أى خطورة فى هدم المجتمع و تقويض دعائمه و إذهاب السعادة وإزالة الطمأنينة والأمن من البيوت و الأسر والمجتمعات ، وإن النظم المادية لأكبر دليل على فضل النظام الاسلامى و أعظم برهان على أنه منزل من عند الله و ليس من وضع البشر فى شيئ .

أما المجتمعات المادية التى تعتمد على العقول الانسانية القاصرة فى وضع نظام الملكية و نظام الاجتماع و الأسرة و نظام الحكم فانها تعانى من الفوضى و الاضطراب و تواجه من الأزمات و المشكلات ما يعرف الجميع و لكن الشريعة الاسلامية تسد جميع منافذ الفساد و العدوان و ترص كل مسارب الفوضى و الانحلال ، فتضع نظاماً متقناً دقيقاً للمنع عن النزعات الشيطانية و الحد على الاعتداءات النفسانية و الجرائم الانسانية .

ومن هنا قررت الشريعة الاسلامية فى الحد على الجنايات و الكف عن اقتراف الجرائم نوعين من العقوبات .

الأول : العقوبات النصية ، و هى الثابتة من الكتاب و السنة ، ومنها عقوبات الحدود القصاص .

الثانى : العقوبات التفويضية و هى عقوبات التعزير التى يملك فيها الامام الخيار فى تعيينها و تنفيذها

ولما كانت جريمة الزنا و القذف اعتداءاً على نظام الأسرة الموضوع من الله سبحانه و تعالى قررت لها الشريعة الاسلامية حد الجلد والرجم والتغريب باختلاف نوعية الجريمة و الجرم .

و كذلك السرقة : تهدم نظام الملكية و تعطل القوى العاملة و نفسية العمل ، فكان لابد من قطع يد السارق إذا ثبتت السرقة بشرطها ، حفاظاً على مصالح الفرد و الجماعة ، و الحرابة اعتداء على الملكية و سلامة الحياة فلولا عقوبتها المقررة لتهدمت مصالح الأفراد و الجماعة أو ظلت الحياة مهددة بالخوف و المؤامرة ،

أما جريمـــة الردة و البغى فانهما تهـددان القضاء على النظام الاجتماعى و نظام الحكم فلابد من القضاء عليهما بقتل المرتدين و البغاة وتطبيق عقوبتهما التى قررتها الشريعة عليهم

و الخمر جماع الأثم فكان لابد من الحظر على تعاطى المسكرات التى تشل القوى العقلية وتترك المرء مفقود العقل والشعور وتمهد له الطريق إلى اقتراف كل نوع من الجرائم .

فالعقوبات التى تنفذ على الجناة فى هذه الجنايات السبع تسمى حدوداً من تقدير الله عزوجل وإن تطبيقها على المجتمع لكفيل باسعاده وتوجيه الدعة والهدوء و الطمأنيـة إلى أعضائه أفراداً و جماعات و حكاماً و رعيـة ، و إن المتأمل فى حدود الله عزوجل ليتعرف مدى تأثيرها فى تحقيق الأمن والاستقرار فيما إذا طبقت على المجتمع .

إقتصادنا في ضوء الإسلام

أمور أساسية عن الاقتصاد الاسلامى و إطاره العام

[الحلقة الثانية]

الأستاذ محمد طاسين (باكستان)

تعريب : الأستاذ نور عالم الأمينى

و الأمر المبدئى الرابع الذى لابد من الاشارة إليه بهذه المناسبة ، أن التعاليم الاقتصادية التى جاءت فى الكتاب و السنة هى ثلاثة أنواع ، فهى إما مواعظ أخلاقية و أحكام مندوبة ، وإما هى قوانين حقيقية و أحكام مفروضة و إما قوانين عابرة و أحكام مؤقتة ، و هذه الثلاثة كلها يختلف بعضها عن بعض من وجوه ، و إليك بعض التفاصيل بهذ الشأن :

١- السبب الأول فى الاختلاف فيما بين هذه التعاليم الاقتصادية الثلاثة يرجع إلى أن النوع الأول منها يتأسس على الاحسان و الايثار ، و معناه أن يتبرع أحد بحقه لأخيه بداعى المؤاساة و العطف ، و بعبارة أخرى : أن يتنازل لأحد عما يملكه عن طواعية دون استحقاق شرعى ، بمحض دافع البر و المؤاساة ، و النوع الثانى مؤسس على العدل الكامل الذى يقتضى أن يعطى كل ذى حق حقه كاملا غير منقوص ، سالماً غير مخدوش ، أما النوع الثالث فأساسه على المصالح الطارئة ، و ذلك يعنى الأخذ بالأصلح بالنسبة ، إلى أن تصير المساوىء تقل ، و المحاسن تزداد نسبياً .

٢- و السبب الثانى فى اختلاف هذه التعاليم الاقتصادية بعضها عن بعض ، أن التعاليم الاقتصادية الأولى التى تتأسس على الاحسان المؤاساة ، هى كترغيبات أخلاقية ، فهى ليست إجبارية ، بل هى اختيارية ، فالأفراد أحرار بالنسبة إلى العمل بها ، فان شاؤا عملوا و يستوفوا الأجر والثواب ، و إن شاؤا تركوا

ولا ذنب عليهم ، وليس للدولة أو سلطة من السلطات أن تجبرهم على تطبيقها ولا أن تعاقب المتخلف عنها ، فان الاهمال فى تطبيق أمثال هذه التعاليم لا يتسبب فى لحوق الضرر بأحد أو ضياع حقه هدراً ، ولا يمس توازن واعتدال المجتمع من قريب أو بعيد ، نعم ، إن تنفيذ ذلك يزيد العلاقات الاجتماعية رسوخاً وتحسناً ، و يجعل الأمن والهدوء يبسطان نفوذهما على المجتمع بقوة أكثر ونشاط أوفر ، فللدولة أن تدعو المواطنين إلى الأخذ بأمثال هذه التعاليم بأنواع عوامل الترغيب ، و أن لا تألو جهداً فى تشجيع و تحميس و تحبيذ من يستجيب لندائها ، فمثلا يمكنها أن تكرمهم باعطائهم الاعفاءات القومية و الامتيازات الاجتماعية ، بل لا بدلها أن تصنع ذلك .

و على العكس من ذلك النوع الثانى من التعاليم الاقتصادية ، الذى هو بمنزلة القوانين الحقيقية الأصيلة و الأحكام المباشرة : فانه إجبارى ، والأفراد ملزمون بتنفيذه ، و لا يسعهم التخلف عنه فى حال من الأحوال ، فان العمل به يصون الحقوق الاجتماعية عن التلف و الضياع ، كما أن الاهمال فى تطبيقه يؤدى حتمياً إلى تلفها ، و إلى اختلال توازن المجتمع و تبلبله ، و قلقه و اضطرابه و لذا فمن واجبات الدولة أن ترغم المواطنين على الالتزام به ، و أن تعاقب المعرضين عنه ، فان الهدف الجذرى المباشر من قيام الدولة هو صيانة حقوق المواطنين و تكافلها ، و إقامة العدل وبسط الأمن .

و كذلك النوع الثالث من التعاليم الاقتصادية ، فانه إجبارى ، إذا اقتضت الظروف إجباريته ، و إذاً فيجب على الدولة أن تأخذ الشعب بهذه التعاليم ، لأن العمل بها يقلل من الظلم السائد فى المجتمع ، ذلك الذى يجب على الدولة إزالته و محوه كلياً .

٣ – والسبب الثالث فى الاختلاف بين هذه التعاليم : أن العمل بالنوع الأول منها يكسب صاحبه سمواً خلقياً ، و عظمة روحانية ، و رضى عند الله ، و احتراماً و إكراماً فيما بين الناس فى الدنيا ، وأجراً أى أجر فى الآخرة ، كما أنه يؤلف فيما بين القلوب ، و يقوى روح الأخوة و المودة ، و يشمل المجتمع بمزيد الأمن و الهدوء و السلام ، إذا لم يكن هناك تقصير فى التطبيق أعنى أن الذى يستأثر بعدله البعض دون البعض ، فيعامل بعض بنى جنسه بالعدل ، على حين يظلمه البعض ويبخس حقه ، فانه لن يتمتع بتلك المكاسب و الفوائد المذكورة أعلاه ، وكذلك إذا كان المجتمع لايطبق قوانين العدل على أعضائه كلها ، فان عمل بعض أبنائه بالتعاليم الأخلاقية الاقتصادية لايؤثر تأثيراً على الأوضاع الاجتماعية .

و النوع الثانى من هذه التعاليم – وهو بمنزلة القوانين الحقيقية – يضمن الحقوق الاقتصادية لجميع الأفراد ، و يوجد فى المجتمع الاعتدال الاقتصادى ، و يجعل الأفراد ، يتمتعون بالسعة و الرخاء ، كل حسب حاجته ، و النوع الثالث . كما أسلفت – يخفف من الفوضى الاقتصادية السائدة فى المجتمع من ذى قبل ، و يوجه الظروف إلى التحسن ، و العودة إلى سيرتها الطبيعية .

٤ – ثم إن هذه التعاليم الاقتصادية تختلف فيما بينها من حيث الترتيب العملى كذلك . فالنوع الثالث منها – الذى هو بمنزلة القوانين المؤقته – يسبق التعاليم الأخلاقية و الاجبارية فى التطبيق و التنفيذ ، ثم يأتى دور التعاليم الاجبارية ثم دور التعاليم الأخلاقية ، فالمجتمع الذى بلغ من الظلم و البخس و هضم الحقوق مبلغه النهائى ، حتى أصبح لايرجى له التخلص من ذلك ما لم يحدث تغير فى الأحوال ، و تحسن فى الأوضاع ، إن الطريقة الحكيمة السديدة المعقولة

لاصلاحه و تخليصه مما هو فيه ، أن تتجه المحاولات أولا إلى تحسين الأوضاع السائدة ثم إلى إزالة الظلم و الضرب على جذور الاستغلال و الاستئثار ، ويجب أن تكون المحاولات المبذولة على مقاومة الظلم والفوضى و المحاولات الموجهة إلى تحسين الأوضاع ، متساوية كماً وكيفاً ، حتى إذا صارت الظروف مواتية لتطبيق العدل الكلى ، فهناك يرغم المجتمع على تطبيق مبدأ العدل تطبيقاً شاملا ، و إذا أخذ يسير على درب العدل سيراً حثيثاً ، فحينئذ يأتى دور ترغيبه إلى البر و الاحسان ، و إلى الأخذ بالتعاليم الأخلاقية فان إجبار من لايرضى بالاقلاع عن الظلم ولا جزئياً ، على العدل الكامل ، و ترغيب من لا يتحرك إلى العدل ، فى البر والاحسان ، شئ ليس من ورائه جدوى ، و من ثم فالتعاليم الاقتصادية التى تتصل بتقليل الظلم هى أسبق فى التنفيذ ، و التى تتصل بالعدل تلحقها ، ثم يأتى فى الأخير دور تلك التى تتعلق بالايثار و الاحسان ، و قد سبق العدل الاحسان فى الآية الكريمة « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » مما يدل على كون العدل سابقاً ، والاحسان لاحقاً .

٥ – و السبب الخامس فى الاختلاف ، يرجع إلى التعين وعدمه ، أعنى أن التعاليم الاجبارية الحقيقية – بما أنها تتأسس على العدل الذى يقتضى استيفاء الحقوق لأصحابها ، واستيفاء الحقوق ينحصر فى صورة محدودة واحدة – تتحدد فى شكل واحد ، أما التعاليم الأخلاقية الاختيارية – بما أن أساسها البر و الايثار والاحسان ، و الاحسان له أنواع و أشكال من حيث القلة و الكثرة – فلها صور و أشكال ، لايأتى عليها الحصر ، و كذلك التعاليم المؤقتة – المؤسسة على تقليل الظلم وتحسين الأوضاع – لها صور و أنواع ، نظراً إلى أن الظلم و الفساد يمكن تقليله و مكافحته بأساليب شتى ، و طرق لا تعد ، و ليكون الأمر أكثر وضوحا نضرب لك مثلا :

هناك أجير يعمل مقابل عشر روبيات قررها المستأجر، فلو دفع إليه المستأجر العشر الروبيات كاملة غير منقوصة، لكان هو العدل، و لما كانت العشر ليس لها إلا شكل واحد، فليس للعدل إلا صورة واحدة، و إن لم يدفع إليه شيئاً منها، أو دفع أقل من العشر فهذا هو الظلم، الذى يتكون له فى هذا المثال ٩٩٩ شكلا، فمثلا: إذا دفع العشر إلا بيسة، كان هو الظلم، وإذا دفع إليه العشر إلا ٩٩٩ بيسة، فهو الظلم أيضاً، ولو دفع العشر إلا ربيه واحدة، لكان هو الظلم، و إن أدى العشر إلا شيئاً يسيراً، فهو كذلك و إن أدى زائداً على العشر، فهو الاحسان، وإذا كانت الزيادة على العشر لا تتحدد فى صورة، ولا تقتصر على كمية، كأن الاحسان له أنواع تفوق العد و الاحصاء، فمثلا: يمكنه أن يزيد بيسة واحدة، أو ربية واحدة، أو عشر روبيات، أومأة ربية، كما يمكنه أن يزيد الألف ومأة ألف، فما فوقها.

و هذا المثال كما دل على كون العدل محدود الشكل، و كون الاحسان و الظلم غير محدودى الشكل، كذلك دل على أن العدل فى الحقيقة خط فاصل بين الظلم و الاحسان، فكأن العدل هو النقطة التى تتوسط خطين: أحدهما الظلم، و ثانيهما الاحسان.

٦- و السبب السادس فى الاختلاف: أنه لاتصح دعوى أفضلية النظام الاقتصادى الاسلامى مقابل النظامين: الاشتراكى و الرأسمالى، بناءاً على النوعين الأول و الثالث من التعاليم الاقتصادية الاسلامية، و إنما تصح بناءاً على النوع الثانى، و على أساسه يمكن تأكيد هذه الدعوى و إثباتها بكل سهولة، و إليك بعض التفاصيل لهذا الاجمال.

النوع الأول الذى ينطوى على الترغيب فى الاحسان والايثار، لا يستأثر

به الاسلام وحده، فكل ديانة ونظام فى العالم لديهما تعليمات توغب فى الاحسان و ترحب بالايثار، فسواء أكان الاشتراكيون أم الرأسماليون، و سواء أكان المعتنقون للأديان السماوية أو المنكرون لها، هؤلاء و أولئك كلهم ينظرون نظرة إعجاب و تقدير و تحبيذ، إلى أن يحسن الرجل إلى أخيه منطلقاً عن شعور الاخاء و العطف و المؤاساة، و أن يسجل له التاريخ صفحات بيضاء فى الجود والسخاء.

و لذلك فان التعاليم التى تتصل بالاحسان و الايثار لا تؤكد أفضلية الاسلام، و لا تبرز تلك العظمة و المزية اللتين يتمتع بهما الاسلام دون الأديان الأخرى، و كذلك النوع الثالث، فان المبادئ التى يتأسس عليها هو، تقر بها جميع الديانات والنظم، و تستخدمها لدى الحاجة إليها، على اختلاف وجهاتها و اتجاهاتها، يعنى إذا لم يمكن العدل كل العدل من سوء الأوضاع، و عدم ملاءمة الظروف، فلا بأس بما يمكن، و لتستمر الجهود لتحقيق الأكثر فالأكثر، وذلك مبدء معقول عند الأديان كلها، و يطبقه الجميع على اختلاف فى المنهج و الأسلوب، و على ذلك فلا يثبت فضل النظام الاسلامى على النظم الأخرى، بناءاً على التعاليم الاقتصادية المؤسسة على أمثال هذه المبادئ، وإنما يثبت بالنوع الثانى، أى التعاليم القانونية الاجبارية، فان هذه التعاليم مبنية على فكرة العدل الاقتصادى التى تفوق بكثير فكرة العدل الاقتصادى التى تبنى عليها الاشتراكية أو الرأسمالية نظامهما الاقتصادى، فان تصور العدل الاقتصاد الاسلامى يتكفل لكل من أعضاء المجتمع أمرين: الأول أن لايحرم أحد ضرورات المعاش فى حال من الأحوال، والثانى أن تتوفر له فرصة كسب المعاش زائداً على الضرورات، على حين لايوجد الضمان العقلى لهذين الأمرين فى التصور

الرأسمالى للعدل الاقتصادى ، أما تصور العـــدل الاقتصادى الاشتراكى ، فلا ينطوى إلا على بعض الضمان للأمر الأول ، أما الأمر الثانى ، فقد أسقطه هو من الحساب ، ثم إن التصور الاسلامى للعدل الاقتصادى يتفق كل الاتفاق مع الطبيعة البشرية ، بما أنه يتكفل الحرية الفردية بالاضافة إلى الرخاء الاقتصادى على حين لا يوجد ذلك فى التصورات الغير الاسلامية للعدل الاقتصادى نهائياً ، أو يوجد و لكن ناقصاً .

و إليك نبدأ بما جاء فى الكتاب و السنة من هذه التعاليم الثلاثة ، حتى يتبين الأمر جلياً واضحاً ، فمثال النوع الأول من هـذه التعاليم ما جاء فى الكتاب فيما يتصل بالترغيب فى الانفاق و الصدقات النافلة فمثلا :

« يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو (١) » « الذين ينفقون أموالهم بالليل و النهار سراً و علانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ، و لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) » « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، و الله يضاعف لمن يشاء ، و الله واسع عليم (٣) » « قل لعبادى الذين آمنوا : يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سراً و علانيـــة (٤) » « و ما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم ، و أنتم لا تظلمون (٥) » « إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم (٦) » « إن المصدقين و المصدقات و أقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ، و لهم أجر كريم (٧) » « و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٨) .

---

(١) سورة البقرة ، ٢١٩ . (٢) سورة البقرة ، ٢٧٤ .
(٣) سورة البقرة ، ٢٦١ . (٤) سورة إبراهيم ، ٣١ . (٥) سورة الأنفال ، ٦٠ .
(٦) سورة البقرة ، ٢٧١ . (٧) سورة الحديد ، ١٨ . (٨) سورة الحشر ، ٩ .

و ما تنطوى عليه هذه الآيات الكريمات ، من تعاليم الانفاق ، والصدقات و البر والاحسان ، ليس مؤقتاً ، محدوداً لوقت دون وقت ، بل هو مطلق كل الاطلاق ، لا يتقيد بزمان و لا مكان ، كما أن الأسلوب التعليمى ليس إجبارياً اضطرارياً ، بل ترغيبياً تحبيبياً ، مما يدل على أن الآتى بهذه الأعمال والمكرمات يثاب عليها ، و لكن المتخلف عنها لا يعاقب .

أما مثال النوع الأول فى السنة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - فهو أولا تلك الأحاديث التى تأمر ببذل الأموال الفاضلة عن الحاجـة ، فى سبيل الخير و الحق ، فمثلا :

« عن أبى أمامـة أن رسول الله ﷺ قال : ابن آدم ! إنك أن تبذل الفضل خير لك ، و أن تمسكه شر لك (١) » .

« عن قتادة عن رسول الله ﷺ ، قال : أوحى إلى كلمات دخلن فى أذنى ، و قرن فى قلبى ، أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً ، و من أعطى فضل ماله فهو خير له ، و من أمسك فهو شر له ، و لا يلوم الله على كفاف (٢) » .

« عن كدير الضبى أن رجلا أعرابياً أتى النبى ﷺ فقال : أخبرنى بعمل يقربنى من الجنة و يباعدنى من النار ، فقال النبى ﷺ : تقول العدل ، وتعطى الفضل (٣) » .

« عن على - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال فى خطبته : طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، و أمسك الفضل من قوله (٤) » .

(يتبع)

---

(١) صحيح مسلم ، ج ٧ ص ١٢٦ . (٢) كنز العمال ، ج ٣ ص ٢٦٩ .
(٣) الترغيب والترهيب ، ج ٢ ص ١٩٤ . (٤) حلية الأولياء .

العمل و العمال بين الاسلام

و النظم المعاصرة

للأستاذ ابن سلمان

يجمع أكثر الباحثين عندنا إن لم نقل كلهم — حين يتصدون لمعالجة مشاكل العمل و العمال إلى ربط ذلك بالنهضة الصناعية فى أوربا ، و يعتبرون تاريخ أوربا ونهضتها الصناعية ، وظهور مشاكل العمال فيها هى البداية ، لتحسس الانسانية بهذه المشاكل ، ويشطبون على كل ما هو معروف لدى الانسانية وخاصة أمتنا ، من معالجات فى هذا الباب ، إما لأنهم لا يعرفون — و لا يريدون أن يعرفوا — و إما لأنهم ، مستسلمون للغزو الفكرى الذى يمارسه أعداء أمتنا ضدها .

لقد جاء الاسلام بنظرية كاملة للحياة تشمل كافة جوانبها و منها هذا الجانب ، والاسلام بمعالجاته لمشاكل الانسانية إنما يضع الأساس و يحدد الاطار المصور ثم يترك لنا الجوانب الجزئية التى لا تقع تحت حصر . و التى يكون للظروف تأثيرها فيها ضمن الحدود و القواعد الكلية التى ثبتها فى حدود سياسة دره المفاسد و جلب المنافع و تحقيق العدل و الصلاح التى عرفتها الشريعة الاسلامية قبل أى نظام على وجه الأرض حتى يومنا هذا ، فقد ذكر الامام ابن قيم الجوزية فى كتابه (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) « السياسة ما كان فعلا يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح و أبعد عن الفساد و إن لم يضعه الرسول ﷺ و لا نزل به وحى » ثم يستطرد فيقول « . . و إن الله

سبحانه و تعالى أرسل رسله و أنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط و هو العدل الذى قامت به السموات و الأرض فاذا ظهرت أمارات العدل و أسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه ، والله سبحانه وتعالى أحكم وأعلم وأعدل أن يخص طرق العدل و إماراته ثم ينفى ما هو أظهر منها و أقوى دلالة و أبين إمارة . فلا يجعله و لا يحكم به عند وجودها و قيامها بموجبها . بل أنه سبحانه يبين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها العدل و القسط فهى من الدين وليست مخالفة له . . . » .

لذا فقد أغنى الاسلام أمتنا حين تريد معالجة مشاكلها فى مجال العمل والعمال ، عن استجداء الحلول و النظريات من أعدائها ، بل إن بوسعها ، أن تكون فى الطليعة من أمم الأرض كلها لو وضعت الحلول التى جاء بها الاسلام موضع التنفيذ بنفس الروح التى جاء بها الاسلام و الغاية التى قصدها .

ففى مجال تقييم العمل كان الاسلام أول الداعين إلى تكريم العمل وإيجابه على كل قادر منها هو القرآن حين يقص علينا قصة نوح عليه السلام فيشير إلى أمره تعالى « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ثم كرم العمل فى الدنيا و جعله مناط الثواب فى الآخرة فقال تعالى « والعمل الصالح يرفعه » والرسول الكريم يقول « خير الناس أنفعهم للناس » .

و الآيات و الأحاديث التى تحث على العمل و تحببه للناس كثيرة تفوق الحصر حسبنا منها قوله تعالى « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » ـ و قوله تعالى « فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و إليه النشور » ـ و يقول الرسول ﷺ ـ لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق و هو

يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً و لا فضة – و قوله ﷺ (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له) و هكذا يعتبر الاسلام العمل شرفاً مهما كان نوعه .

أما فى مجال تثبيت حقوق العمال و رعاية مصالحهم فرغم أن الاسلام أفرد ذلك بأحكام خاصة به ، فان روح الاسلام والغايات التى توخاها تتيح للأمة أوسع مجال لمعالجته بروح بعيدة كل البعد عن روح المعالجات التى جاءت بها النظم المعاصرة ، كلها بدون استثناء . لأن الاسلام عالجها بروح الأخوة التى تطبع حياة مجتمعه – إنما المؤمنون إخوة – بينما عالجتها النظم المعاصرة بروح إثارة الحقد و البغضاء بين الطبقات ، و اعتبرت معالجتها مظهراً من مظاهر الصراع الطبقى الذى لا يخضع لأية ضوابط أخلاقية ، غير ضوابط المصالح الطبقية و اعتبروا أن لكل طبقة أخلاقيتها الخاصة التى تتماشى مع مصالحها . ذلك لأن الاسلام يقيم حياة مجتمعه على المودة و الرحمة و العدل و لا يسمح مطلقاً بأى استغلال ظالم أياً كان نوعه لأنه يتنافى مع العدل ، و الله سبحانه و تعالى يقول (إن الله يأمر بالعدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى . .) و الرسول ﷺ يقول (مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى) . .

أما فى موضوع الأجر فحسبنا توكيد الاسلام على العدل و رعاية المصلحة و لا شك أن غمط حقوق العمال بابخاسهم أجرهم فيه ظلم عظيم وقد قال تعالى « و لا تبخسوا الناس أشياءهم » كما أعلن الرسول ﷺ مخاصمة من يعتدى على حق العامل فى أجره فقال – ثلاثة ، أنا خصيمهم يوم القيامة –

وعدوهم – ومنهم رجل استوفى من الأجير عمله ولم يوفه أجره – كما أوجب الاسلام بتعجيل دفع أجر العامل فقال ﷺ : أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه – و نحن لا نريد بالاسترسال بايراد الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وضع قوالب جامدة لمعالجة هذه الناحية من نواحى حياة الناس إنما نريد بذلك أن نقرر أن الاسلام فى معالجته لهذه المشكلة عالجها على أساس سليم و بنظرة واسعة تحقق العدل للجميع . و العبرة بالأحاديث و الآيات بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، و لقد آن الأوان ليكون لأمتنا مقام الصدارة فى معالجة مشاكل العمال بتقديم حلول عملية عادلة لمشاكل الطبقة العاملة ، على أساس تثبيت معانى الأخوة و المودة بين أبناء الأمة ، عمالا و أرباب عمل ، و حاكمين و محكومين ، لا على أساس إثارة روح الحقد و الحسد و العداوة والبغضاء ، بالتسليم بمفاهيم الصراع الطبقى الحاد ، لأن الغاية المقصودة هى تأمين العمل للعاطلين و تأمين الأجر العادل الذى يضمن للعامل حياة كريمة مرفهة و تأمين حياته و حياة أسرته فى حالات العجز و الشيخوخة ، و ليس دفع الناس دفعاً إلى الصراع و الاقتتال من أجل لقمة العيش ، إن أمتنا إن استطاعت أن تعالج هذه المشكلة بالروح التى جاء بها الاسلام و بالعدل الذى نادى به الاسلام فستكون قد أسدت على الانسانية فضلا كبيراً ، و واجهت أصعب مشاكل الانسانية مواجهة حاسمة بعدل لامثيل له ولن تبلغ النظم المعاصرة مبلغه لأنها عاجزة عن استيعاب روح الاسلام .

دراسات و أبحاث

من أسرار النبوة

الأستاذ شهاب الدين الندوى

تعريب : عبد الله الحسنى الندوى

يظهر من دراسة القرآن الكريم أن الله عز و جل خلق للانسان سراجين منيرين ، سراجاً مادياً و سراجاً روحانياً ، أحدهما ، تلك الشمس الوهاجة التى تضئ هذا الكون المادى ، و الآخر هو شمس النبوة و الرسالة التى تنور العالم الروحى ، وإذا كان الواحد منهما يتكفل بقضاء حاجاتنا الدنيوية فان الآخر يضمن تجلية الروح و تغذيتها و يقوم بدور هام فى القيم الخلقية - و بقاء الانسانية معقود بهما - و لذلك فان كليهما مما لا تستغنى عنه الحياة فى أى حال ، وإن فقدان أى واحد منهما يسبب الخراب والدمار ، فلعل ذلك هو السبب فى أن القرآن شبههما « بالسراج » فقال و هو يتحدث عن الشمس « تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً (١) » و أريد فى هذه الآية معنى الشمس ، بالسراج ، و قد صرح فى موضع آخر أن هذا السراج للشمس فقال « وجعل الشمس سراجاً (٢) » ويبين فى موضع آخر أن هذه الشمس تحمل لمعاناً وتوهجاً وحرارة «وجعلنا سراجاً وهاجاً (٣)» و لذلك شبه الله سبحانه وتعالى شمس الرسالة سيدنا رسول الله ﷺ بالسراج فقال « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً (٤) » والواقع أن كلمة « السراج » لم تذكر إلا فى هذه

(١) سورة الفرقان الآية : ٦١ . (٢) سورة نوح الآية : ١٦ .
(٣) سورة النبأ الآية : ١٣ . (٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٥ ـ ٣٦ .

المواضع الأربعة فلماذا خص هاتين الشمسين شمس الرسالة و شمس العالم بكلمة « السراج » ، و ما الحكمة فى ذلك ؟ قد سبق آنفاً أن الأولى للحفاظ على حياة الانسانية المادية والأخرى لتغذية حياة الانسان الروحية ، و لا نريد إلا أن نستعرض عملية هاتين الشمسين و تأثيرهما على الحياة الانسانية ، فاذاً يحسن بنا أن نستعرض أولا أهمية الشمس و حاجة الانسانية إليها من وجهة نظر عملية ثم نلقى نظرة على أهمية النبوة و الرسالة و حاجة الانسانية إليها ، و نثبت حاجة النبوة و أهميتها الكبرى .

ضياء الشمس :

تسمى الشمس « بالسراج » لأنها لا تتغير حرارتها وضياءها من أى شئ آخر كالقمر الذى يستعير نوره من الشمس لأجل ذلك لم يدع القرآن القمر « بالسراج » إن القرآن الكريم وصف الشمس فى موضع بالضياء و القمر بالنور « هو الذى جعل الشمس ضياءاً و القمر نوراً (١) » و لفظ الضياء مصدر فى هذا الموضوع و يمكن أن يكون بمعنى الفاعل أو أن يكون صيغة المبالغة (٢) لأن الضياء و الضوء يستعملان للعان (٣) و النور هو ذلك اللعان الهادى الذى يتنور و ينور الأشياء (٤) و يطلق على نور البصيرة كما يطلق على نور البصر (٥) إن استعمال الألفاظ المختلفة للقمر و الشمس يرمز إلى أنهما مختلفين فى كيفيتهما و كميتهما .

حرارة الشمس :

يقدر علماء العلم الجديد أن حرارة الشمس تبلغ إلى ستة آلاف درجة

(١) سورة يونس الآية : ٥ . (٢) راجع روح المعانى . (٣) راجع البيضاوى
(٤) راجع التفسير الكبير . (٥) مفردات القرآن .

و حرارة مركزه تبلغ إلى خمسة عشر مليون درجة إلى عشرين مليوناً ولذلك فان الشمس تبعث حرارتها و نورها من بعد مئات آلاف من الأميال و يقدر المقدرون أن الحرارة التى تأخذها أرض بمساحة فدان واحد من المناطق الاستوائية من الشمس تبلغ مقدار الحرارة التى تحصل فيها باحراق أربعة أطنان من الفحم .

لم تسم الشمس بالسراج فحسب ، بل هى تدعى « بالوهاج » فى القرآن الكريم ، الأمر الذى يشير إلى هذه الحرارة الشديدة و الوهج الشديد على كل حال – إن هذا الكشف العلمى الجديد يشرح و يفسر الكشف العلمى القرآنى السابق ، أفلا تتدبر ؟ إن هذا الأمى قبل أربعة عشر قرناً من الزمن هل كان يستطيع أن يأتى بألفاظ و عبارة أدق و أشمل لأفهام الأميين الذين لم يدركوا أى شئ من العلم الجديد المادى ، تلك التى لا تتغير مفاهيمها و مدلولاتها فى هذا العصر المتحضر الراقى .

عملية الشمس :

إذا استعرضت هذه الثورات الحياتية المتنوعة فى هذا الكون المستمر ، ترى فى هذه التغيرات الحياتية سواء كانت تتعلق بالحياة الحيوانية أو بالحياة الجمادية ، أن حرارة الشمس و ضياءها الوهاج تعمل فيها ، فلولا ضياء الشمس لكانت الأرض مظلمة حالكة للأبد ولم يكن بمستطاع العلماء للعلم الجديد أن ينوروا بقعة من بقاع الأرض رغم توافر جميع وسائل الاضاءة وآلات التنوير « قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة، من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » و من ثم لم تنل الأشجار نموها و لا يتيسر للحيوانات أن تثبت وجودها .

قوة الشمس :

و هى كوكب من كواكب الله يفوق – من قدرة الله – سائر الكواكب المادية المصطنعة ، هذه هى الشمس التى لم تزل ولا تزال تمنح الضوء والحرارة للنوع البشرى مجاناً .

نظام الشمس :

ما زالت الشمس توزع ضوءها و حرارتها على الأرض باتزان وانضباط لا تفتر فى وقت ما ولا تتجاوز حدها ، و لا تحتاج إلى إصلاح أو تغيير .

إذا وازنت بين نظام الشمس و نظامك ، شاهدت أن نظامك يفتر فى بعض الأحيان ويتخطى فى بعض الأحيان عن برامجه المقررة و لكن نظام الشمس على عكسه لا يفتر للحظة واحدة فان كنت مستظهراً لنظامها السنوى تستطيع أن تضبط ساعتك المربوطة فى يدك من طلوعها و غروبها فى أى فصل و أى يوم تشاء ، « و سخر الشمس و القمر كل يجرى لأجل مسمى » .

عملية الماء :

لسنا بحاجة فى هذا الصدد إلى أن نخبركم بأهمية الماء و حاجته فى الحياة الانسانية ، فان الماء منحة كبيرة من الله عز وجل و لا يشفى ظمأ الانسان إلا به ولا نقتنى الأغذية إلا من أجله لأن الأشجار والنبات المتنوعة لا تسق إلا
به ولا نقتنى الأغذية إلا من أجله لأن الأشجار و النبات المتنوعة لا تسق إلا
بالماء ، تلك التى تمنحنا الحاجيات المختلفة من الحبوب والخضراوات ، و الأوراق و الخشب . و الأمتعة الأخرى كالحبال و الحصر و الغرارات ، كأن الحياة الحيوانية تقوم على النبات ، و إنما النبات ينبت و ينمو بالماء ، و به يحيا و يعيش ، و لا تستمر الحياة إلا به لأن الماء عنصر أساسى لها

و لتعمير البيوت و الحاجات الأخرى المختلفة التى تتعلق بها ، فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً و عنباً و قضباً و زيتوناً و نخلا وحدائق غلباً و فاكهة و أباً متاعاً لكم و لأنعامكم .

الشمس سقاء :

و الحقيقة أن هذه الأشياء كلها تنمو و تعيش و تزدهر بالماء ، و الماء ينشأ بالشمس ، فدبر خالق هذا الكون نظاماً غريباً لارسال الماء الذى تبقى به حياة الحيوانات و النبات ، هل تعرف من أى مكان يأتى الماء فى الأنهار و الآبار و يجتمع فى البرك و الغدار و لعلك تجيب و تقول : من المطر ! و لكن هل نسألك ، من أين أتى ماء المطر ؟ و هنالك تجيب على الفور من السحاب ولكن هل فكرت فى أمر السحاب الثقال كيف توجد ؟ ألا يكون جوابك : أن هذا السحاب من وجهة النظر العلمية قرب مملوءة بالماء منبعها البحر .

خذ إناء و سخن فيه الماء أو تركه فى الشمس ، فتشاهد بعد ساعة أن الماء قد غاب وبقى الاناء خالياً ، فاين غاب هذا الماء و الواقع أن الماء يتبخر و يتحلل فى الفضاء و يرتقى إلى السماء فى شكل بخارات من حرارة الشمس كذلك يتبخر و يتحلل و يرتقى إلى السماء ملايين الأطنان من الماء من حرارة الشمس و ضيائها الوهاجة فى دقيقة واحدة تبعاً للقانون الالهى العجيب ، ويتحول هذا الماء سحاباً فى موضع رفيع خاص ، و هذا السحاب المعلق يتفرج فى البلاد المختلفة راكباً على أكتاف الجو و يمطر مطراً غزيراً على بقاع من الأرض بأذن الله عز وجل .

كان هذا نموذجاً منقطع النظير للخلق فقد أمر خالق هذا الكون الشمس بحمل الماء لتربية الأجيال فان الشمس لا تضئ لنا بالحرارة و النور فقط ،

بل إنها تحمل الماء لنا من البحار كذلك و نسميها بالسقاء أيضاً .

هذه الآية الكريمة ترفع اللثام عن أسرار ربوبية الله عز وجل ، فى ماء المطر الذى يحمله السحاب من البحر . « أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلو لا تشكرون » فيها نكتة لطيفة ترمز إلى أن ماء المطر يأتى من البحر ، لأن معنى « أجاج » الماء المالح و هو ماء البحر ، و هنا حرض على شكر هذه النعمة الكبرى لأن الله عز وجل إن لم يخرج هذه الملاحة من الماء فلا يقدر أى شخص أن يحيي و يعيش على صفحة العالم بل صارملحاً مع الماء المالح و صارت الأرض مملوءة بالملح لأن ٧٠ ٪ من الأرض تشغلها البحار ، و ليس البر إلا ٣٠ ٪ الباقية .

يوجد فى بحار العالم من الملح ماإذا أفرز وبسط على جميع القارات يتكون ركام الملح فى كل مكان يبلغ ارتفاعه إلى ٥٠٠ قدم و يبدو كرداء غليظ من الملح الذى لا يترك أى شئ فى الأرض إلا و يحوله ملحاً .

فما أعظم منة الحكيم على الاطلاق و ما أعظم رحمة الرب على جميع العالم ، حيث إنه ما وقانا الموبقات المهلكات فحسب بل خولنا ماءاً فراتاً عذباً ليعرف الانسان ربوبيته و كيف هيأ الأسباب لتربية الانسان و الحيوان و سقى النبات والأشجار والاستمتاع بها . هذا هو المفهوم الصحيح فلو لا تشكرون » .

(يتبع)

فراغ تربوى يجب أن يملأ

محمد الحسنى
تعريب : شفيق أحمد الندوى

أهم ما نواجه اليوم فى مجالات التربية و التعليم من المشكلات المعقدة التى تشغل أذهاننا و عقولنا ، إنما هو البحث عن طريق يبعث فينا الشعور بالمسئولية و القيام بالواجب و ينفخ فينا روحاً جديدة تليق بمقتضيات الحياة و متطلباتها و تسجل لنا التقدم و التفوق على أقراننا فى كل مجال من مجالات العمل والنشاط ، إن كثيراً من الطلاب الذين يتخرجون من المدارس الاسلامية و الكليات العصرية وإن كانوا يحملون شهادات تنطق بفضلهم و نبوغهم وتبرهن على براعتهم ولكنهم يتجردون فى بعض الأحيان عن خصائص الحياة وميزاتها ، رغم أنهم يعدون من الأحياء ، إنهم لا يعطون الايفاء بالمواعيد والمواثيق أى اعتبار وتقدير ، أما خدمة الانسانية والأخوة والتعاون ، والصدق والأمانة ، و الشعور بالمسئولية ، و تقدير الوقت ، فهذه هى المعانى التى لا تجدها فيهم البتة ، و هذا هو الداء الذى عم فى المدارس الاسلامية و الكليات العصرية على السواء و أصيب به كل من طلاب المدارس و المثقفين بالثقافة العصرية ، و لكن من ترجع إليه هذه المسئولية وما هى الأسباب والعوامل التى تتصرف من وراء ستار .

أول ما ترجع إليه هذه المسئولية إنما هى أساليب الفكر التى استوردناها من أوربا بكل ما فيها من معايب و مفاسد ، وقبلناها بقلب مفتوح كما تستقبل

البضائع التجارية و الأمتعة و المصنوعات العادية بغض النظر عن أضرارها .

و مما جر علينا هذه المساوى هو الفصل بين الدين و السياسة و العمل على نظرية « العلم للعلم » و « الأدب للأدب » حتى طغت الآداب والعلوم والفنون على المبادىء الخلقية و الأهداف السامية و توقفت عملية صياغة الحياة فى إطار خاص نعبر عنها بتكوين الشخصية و تربيتها ، و لو نوفر لشبابنا وطلابنا فرصة المواظبة على الأهداف العالية بكل اهتمام و اعتناء كما نهتم بحشد المعلومات لكانت الأوضاع على عكس ما نراه فى هذه الأيام ، و لم تنشأ تلك المشكلات التى أعيت أذهاننا و عقولنا حتى بدأنا نتذوق مرارتها .

ولكن السؤال الذى تلفت إليه الأنظار هو أنه كيف يملأ هذا الفراغ ؟ فاننا إذا ألقينا نظرة فاحصة على مدارسنا و كلياتنا أصابنا اليأس . ولكن إذا تأملنا فى هذه القضية ودققنا فيها النظر بدت أنها ليست صعبة عسيرة كما تصورناها ، وتيسير هذه المشكلة و تسهيلها هو يطلب منا الاهتمام بجهتين ، أولاهما ، هى المدارس و الكليات بنفسها ، و أخراهما ، هى المرحلة القادمة حين يتخرج الطالب عن هذه المدارس أو الكليات .

و إننى أعتقد أن اهتمامنا إذا تركز على جانبين اثنين فى حدود الكليات و المدارس تكفل ذلك تغييراً كبيراً فى الوضع الحاضر .

أولا : تنظيم الوقت للأعمال . ثانياً : توفير الأشغال البناءة بجانب التعليم والدراسة ، وإن الاهتمام بهذين الأمرين ليس مما يصعب كثيراً ، وإذا تيسر ذلك فانه يكفى لازالة المفاسد بقدر خمسين فى المأة على وجه التقدير و ذلك لأن البطالة و الفرار عن الأشغال المفيدة و الأعمال البناءة و التباعد عن النشاطات الصالحة التى تغذى فى الشباب عواطف العمل والمغامرة ، وتثير فيهم ذوق البحث والطلب وتوفر لهم الطمأنينة لا يحول دون تكوين الشخصية و تربيتها بطريق

مناسب فحسب بل يبلغ بهم إلى التردى و الهلاك و يوديهم إلى الضـلال و الغواية و يبعث فيهم الأنانية و التشكيك و قلة الثقة و ضعف العزيمـة و حينئذ لا يحتاجون إلى العظة و النصيحة و الزجر و التوبيخ بل إلى أعمال تغير اتجاه عواطفهم و مواهبهم إلى جهة أخرى مع شغل الأوقات بما لا يمكن معه الالتفات إلى اتجاهات فاسدة و أفكار مريضة .

أما تنظيم أوقات العمل فلا نعنى به أن نستعبدهم و نطلب منهم الخضوع التام و الاستسلام الكامل الذى يجنى على دراستهم وتلقيهم العلم بل نعنى به أن يتمرنوا على الحياة المنظمة ويشعروا بقيمة الوقت ويقوموا بتربية القوى الفكرية و الجسمية حتى يجمعوا بين الغذاء العلمى وصيانة الوقت عن التلف الذى يتلف معه كثير من المؤهلات و المواهب ، ولكن كيف يكون تنظيم الوقت هذا ؟ و كيف تكون نوعية هذه النشاطات و الأشغال ؟ والجواب أن هذه الأمور تتوقف على ما يرى مسئولو الكليـات و المـدارس فى ضوء ما يرون به من ظروف و أحوال .

و إن هذا الموضوع يتطلب منا تفصيلا ، وقبل أن نخوض فى التفاصيل يجب أن نبحث فى الموضوع الثانى الذى يتكفل بالنتائج المفيدة المشجعـة لهذه النشاطات و الأعمال بالاضافة إلى المشاريع المدرسية ، و أى عمل فى هـذا الكون يخلو من صعوبة و لكننا إذا تغلبنا عليها لكان فى متناول أيدينا شباب ذووهم عالية و كفايات جيدة ممن ضاعوا لقلة الوسائل و الامكانيات و فقد الجو المناسب و لم يستخدموا مواهبهم و صلاحياتهم لا لصالح الأمـة و لا لصالحهم هم أنفسهم .

و أعنى بهذا الموضوع تأسيس معهد تربوى يتمكن فيه الطالب من تدارك

نقص و خسارة لحقته فى الأيام السابقة الدراسية و لكنه لم يتمكن من دفعه و تداركه و ذلك مثلا أن يكون هناك نوع صعب من المناهج العلمية والفكرية أشبه بامتحان P. M. T. و امتحان I. C. S. .

إن ما يتركز عليه اهتمامنا قبل كل شئ هو نظام الأعمال المحدود ، والحياة النشيطة و الأعمال المثمرة باضافـة مهمة التعليم إليها ، لنجعلها أكثر نفعاً وتأثيراً ، والغاية التى نتوخاها من ذلك هى أن لايتخرج الطالب من إتمام هذه المناهج بشهادة الدراسات العالية و حسن العمل بل لا بد من أن يكون حجمه العلمى أوسع و أكبر من ذى قبل ، كما يمتاز فى بعض نواحى التعليم وأقسامه التى تمس الحاجة إليها ، كالبحث عن المواضيع الاسلامية و التحقيق و المطالعة و التأليف و الصحافة .

و مثل هذه المعاهد لا بد أن يكون من أغراضها تربية طلابها و إيجاد الشعور فيهم بالمسئولية و تقدير الأوقات والتعاون واستهداف المروءة و الخدمة و الصدق و الأمانة و ما إلى ذلك مع ممارستهم إياها ليل نهار شأن من يتلقى التربية العسكرية أو يقوم بالتحضير لامتحان صعب مهم يجمع بين النظرية والتطبيق و لا ينفك من الأعمال و المشاغل التى تنشط القلب و الروح و توفر صحة الفكر و العقل و تتولى تربية الجسم و العواطف مع الاهتمام بانعاش القلب و الروح .

« يتبع »

الكلية العربية

جامعة دار السلام فى جنوب الهند

بقلم كاكا محمد عمر

أنشأها المغفور له كاكا محمد عمر فى سنة ١٩٢٤ م لأغراض شتى وأهداف سامية فى بيئة أحاطها الظلام و الضلال و فساد العقائد و الأعمال ، و كان الناس يعيشون فى دنيا الأوهام و الخرافات التى امتزجت بالنفوس و أصبحت جزءاً من العقيدة الدينية فبذل المؤسس رحمه الله جل مجهوده فى إنارة الطريق للامـــة الحائرة الحائدة عن الصراط السوى و أعد لتحقيق هـذه الأهـداف السامية جميع ما يلزم لها من مبانى شامخة وأساتذة أكفاء وأوقاف تقوم بالنفقات حتى أصبحت الكلية مثمرة نافعة يتوجه إليها الطلاب من جميع ولايات الهند شمالها و من أقصى غربها حتى و من خارج الهند من طلاب سيلان وجزائر مالديو ومليشيا ونيبال و غير ذلك من أقطار آسيا . وهؤلاء الطلاب يعيشون فى رحاب المعهد كالاخوان المتحابين فى الله يكفل بهم المعهد السكنى و الطعام و الكتب الدراسية والاسعاف الطبى و غير ذلك من الحاجيات التى لا بد منها.

و تشرف عليه لجنة مسجلة مؤلفة من رجال الدين و ذوى الفضل.

ولقد تخرج فى هذا المعهد عدد كبير إلى هذا اليوم وهم يتولون مناصب القضاء و الافتاء و الامامة و التدريس و الوعظ و التوجيـــه و الارشاد و فيهم خطباء مصقعون و كتاب بالغون ، و هدف الجميع مساعدة الجمعيات

الدينية و المنظمات الاصلاحية التى تعمل على خطط الدين الحنيف و تسير على منهاج السنة النبوية .

« أهداف الكليـة »

(١) مقاومة الالحاد و الشرك و إماطة الضلالة و البدع و إحياء تعاليم الكتاب و السنة .

(٢) تعميم عقيدة السلف الصالح و المحافظـــة على مآثر المسلمين الأولين و سيرتهم و السعى فى التحلى بأخلاقهم و آدابهم .

(٣) إعداد جند من جنود الله يقوم سداً منيعاً ضد كل حركة أو صيحة تخالف أوامر الاسلام و نواهيه حيث لا يخاف لومة لائم .

(٤) تخريج خطباء و كتاب ينشرون فى خطبهم و مقالاتهم ما يرون من المعتقدات الصحيحة الثابتة عن الصدر الأول المشهود له بالخير بحكمة بالغة و حجج دامغة وبموعظة حسنة و بأسلوب هادئ بدون إثارة أية فتنة أوصيحة .

(٥) تثقيف طلاب بالحضارة الاسلامية و تسليحهم بمواد و أسلحـــة يحاربون بها المدنية الخلاعة ويهدمون الأفكار الفاسدة و يحلون المسائل الجديدة و الأزمات الموجودة فى ضوء الكتاب والسنة و يردون على المستشرقين الذين يرمون الاسلام بما هو برىء عنه .

(٦) القضاء على تنافر المذاهب الفقهية و تباعـد أهلها و السعى فى جمع الجميع تحت ظلال الكتاب و السنة .

(٧) الاجتهاد المتواصل لأن يصبح ضمير كل طالب حياً متوقداً بأن يعتقد أن للمجتمع عليه ديناً ثقيلا فى عنقه و أنه يستصرخ علـه ليضعه فى خدمة الانسانية .

(٨) تحويل علمهم إلى جذوة النار المقدسة التى تتوهج فى القلوب ثم تنبعث حرارتها إلى طاقة خلاقة بناءة و نحن إذ نذكر الأهداف لا نتجاسر الادعاء على أننا وفقنا إلى تحقيق جميع الأغراض و الأهداف بل نسأل الله أن يكلل جهودنا بالنجاح و يحقق أهدافنا و أمانينا لاعلاء كلمته و رفع رايته .

« بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨ »

إنهم لكى يحققوا هذا الهدف يرصدون ميزانية ضخمة من المال وينفقونها فى سبيل ما يريدون من إضرار بالاسلام و حسره فى نطاق ضيق محدود ، وتحديد طاقته و اتساعه بين الشعوب و الأمم ، وكل ذلك للابقاء على سيادتهم و علوهم فى الأرض ، والحفاظ على غلبتهم ، و سيطرتهم على زمام القيادة فى جميع المجالات العلمية و السياسية و الحضارية و الصناعية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من الكافرين و المنافقين فى قوله تعالى :

« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون »

و سيتحقق وعد الله تعالى بما قد يعود أموالهم حسرة عليهم و ما سيواجهونه من الهزيمة بعد الغلبة ، و لكن بشرط أن نبذل جهودنا و أموالنا لمقاومتهم و مواجهة ما يبثونه من مكايدهم و مخططاتهم لشن الحرب علينا .

« و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » و صدق الله العظيم .

سعيد الأعظمي الندوي